



### منارة الاسكندرية

ذكرى الماضي ورمز المستقبل

( راجع مقال « مجد الاسكندرية : جامعة فاروق الاول » صفحة ٨ )



# المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني بعد المائة

٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٦١

١ يناير سنة ١٩٤٣

## البصر الثاني

بين الحرب الجوية وإظلام المدن

في الإظلام الذي يشمل طائفة كبيرة من أعظم مدن الأرض يتجه الفكر الى ما يقال عن حاسة بصر تمكن الناس من الرؤية في الظلام . فهل هناك حاسة من هذا القبيل ؟ وما مدى الاعتماد عليها ؟ وهل صحيح ما يقال عن رؤية عود تقاب مشتل مسافة أميال ؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فأين لونها يفضل في طلاء مصابيح الشوارع في المدن المظلمة ؟ وما الصلة بين هذه الحاسة وبين الجزر وفيتامين A في الخضار وغيرها ؟

هذه الأسئلة جميعاً تهتمنا من ناحيتين ، احدها علمية محض لأن في البحث عن الاجابة الصحيحة عنها تتجلى آيات الله في خلقه وتنكشف طائفة من أسرار التكوين العضوي . والثانية عملية ردها الى قدرة هؤلاء الطيارين الذين يطرون في ظلام الليل الدامس ، متجهين الى الهجوم أو الدفاع ، والى لون الطلاء الذي يجب ان تطل به مصابيح الشوارع ، لكي تتيح للمسيرين بصيصاً من ضوء ، بغير أن يكون في وسع الطيارين مشاهدتها من على الواقع ان حاسة البصر في الليل تختلف عن حاسة البصر في النهار . فالرؤية في الحالة الواحدة تختلف اختلافاً تاماً عن الرؤية في الحالة الثانية . فحاسة البصر في النهار تمكننا من قراءة الكتب وتبين الألوان والتمتع بمشاهد الطبيعة وصور المصورين ومعرفة الأصدقاء . ولكن حاسة البصر ليلاً لا تتيح لنا شيئاً مما من هذا . فلا تمكننا من القراءة ولا من تبين



الالوان أو تمييز التفاصيل في ما تقع عليه العينان . إلا أنها مع ذلك تمكننا من الرؤية بها في الظلام ، ومن هنا منفعتها العملية في هذا الزمان ونحن في حاجة الى البصرين ، لاتساع نطاق الضياء الذي يطرق حواسنا في درجات شتى من الضعف والقوة . ففي الناحية الواحدة ضياء الشمس المتوهجة المنعكس عن رصيف أبيض أو قريب من البياض ، وفي الناحية الأخرى لمحة عابرة من قيص أبيض في ظلام حرج كثيف في الليل . والحد الفاصل هو ضياء البدر . فكل ضوء يفوق ضياء البدر يمكننا من الرؤية بحاسة البصر في النهار . وكل ضوء دون ضياء البدر نستطيع أن نرى به معتمدين على حاسة البصر في الليل . ففي الحالة الأولى يكون الانسان كالقراخ والسحالي والسلاحف وهي حيوانات لا ترى إلا في النهار على الأكثر . وفي الثانية يكون كالخفافيش والبوم والفئران ، وهي حيوانات لا ترى إلا في الليل على الأكثر

\*\*\*

إن سكنى المدن قلما تقتضي من سكانها الاعتماد على حاسة البصر في الليل . فإضاءة الشوارع على النمط الحديث ، تزيل هذه الحاجة . وحاسة البصر في الليل ، في أحد سكان المدن ، لا شأن لها إلا في ظلام الليل عندما يستيقظ النائم ، أو اذا استلقى فترة ما في حجرة مظلمة قبل النوم . فعندئذ يتبين ان بعض الاجسام في الحجرة قد أخذت تظهر معالمها ، مع انها كانت غائبة عن بصره أثر اطفاء المصباح الذي كان يقرأ بنوره . ولكن سكان الريف ، يعرفون ما حاسة البصر في الليل ، لأنهم يعتمدون عليها ، في اجتياز الحقول وصيد القنافذ والانتقال بوجه عام في الليالي المظلمة

واستعمال حاسة البصر في الليل متعذر على حين حاجة ، إذ لا بد من انقضاء وقت قبلما تحدث الملاءمة الفسيولوجية بين جهاز البصر والبيئة المظلمة . وهذا مدلول عليه في الانتقال من حجرة الاستقبال المضاءة في دار صور متحركة ، الى بهو العرض الكبير المغم . فعندما تسلم المستقبل تذكريك وتبعه عند مدخل البهو ، لا تكاد ترى شيئاً فيه ، فتمضي متعثراً الى مقعدك ، ثم ينقشع الغمام رويداً رويداً وبعد نصف ساعة يبدو لك ان ضوء البهو قد زاد مع انك تعلم انه لم يزد . والواقع ان عينيك تغيرتا لا ضوء البهو ، فقد تعودتا الظلام واصبحتنا الوف الاضعاف اشد احساساً بالنور مما كانتا عند دخولك

وليس في الوسع المبالغة في وصف شدة احساس العينين بالضوء بعدما تعودتا الظلام مدى نصف ساعة . ففي قدرة عينين في هذه الحالة ان تريا شمعة على بعد اثني عشر ميلاً ، حتى ولو لمعت



لمعة خاطفة لا يزيد أمدها على جزء من الف جزء من الثانية. وشعلة عود الثقاب كضوء الشمعة. والطيار الذي تعودت عيناه الظلام لا يعجز عن أن يتبين عود ثقاب مشتعلاً على بعد خمسة وعشرين ميلاً في ليل صافية. ويلاحظ أن حدود البصر في هذه الأحوال ليست طول المسافة ولا قدرة العين، بل تحدب الأرض والعنبر المنتشر أو الضباب الذي في الهواء. ومن هنا تجب العناية عناية دقيقة في أثناء الإظلام بحجب كل ضوء. فكل من يشعل عود ثقاب في شارع في أثناء إظلام كامل، كمن يضيئ منارة كبيرة للطيار، إذ لا ريب في أن عيني الطيار تعودتا الظلام قبل الاغارة، وفي وسعه أن يرى ضوءاً أضعف كثيراً من ضوء عود ثقاب. وطيارو المطاردات الليلية يتعين عليهم أن يبقوا نصف ساعة على الأقل في حجرة دامسة الظلام قبل التحليق بطائراتهم في الفضاء. فطائرات الاعداء المغيرة لا تثير مصباحاً ما فيها، وعلى طياري المطاردات أن تكون عيونهم أشد ما تكون احساساً بالضوء لتبين خطوط المغيرات في بحر الظلام الأوسع، أو وهجاً ضعيفاً أزرق في الدخان الصادر الخلفي من أنبوبها

\*\*\*

أن القدرة على البصر في النهار والبصر في الليل ليست موزعة توزيعاً متساوياً في العين. فأسباب البصر النهاري التشريحية والفسيولوجية مركزة في الوسط، فعندما ننظر إلى جسم ما نظراً مباشراً فنحن نعتمد على حاسة البصر نهائياً. ولكن هذا يعني، أن هذا الجزء من العين، ضعيف الإبصار عندما يكون الضوء ضعيفاً. ففي هذه الحالة لا نستطيع أن نرى الشيء إذا حدثنا فيه تحديقاً. ويقابل هذا أن على حواشي المنطقة التي تركزت فيها أسباب البصر في النهار، توجد أسباب البصر في الليل. ففي النهار قلما نستعمل هذا الجزء من العين. فنحن منا يفكر مثلاً في قراءة كتاب بالنظر إليه شزراً. اننا ننظر إليه مواجهة. ولكن عندما يضعف الضوء وتظلم الدنيا، تصبح الحواشي التي تركزت فيها أسباب البصر الليلي، وسيلتنا إلى الرؤية وهي عمادنا في حالة الاظلام الذي يرين على المدن

وعلماء الفلك أدركوا من عهد بعيد، أن خير طريقة لرؤية نجم غائر، هي بالنظر إلى موقعه شزراً لا بالنظر إليه مواجهة. ففي صورة الدب الأكبر نجم يكاد يكون غائراً وقد تراه في ليل صافية الأديم بالنظر المباشر أي بقدرة البصر في النهار. ولكن إذا كان أديم الليل غير تام الصفاء فانك إن نظرت إليه مباشرة تراه لمحة ثم يخفى. ولكن إذا نظرت نظراً مباشراً إلى نجم كبير قريب منه، فانك تنظره واضحاً من طرف مقلتك. والثريا مثل أوضح على هذه الحقيقة. انظر إليها نظراً مباشراً تواجهاً تر فيها عدداً معيناً من النجوم ولكن انظر إليها من طرف مقلتك بعد أن تتعود عيناك الظلام، تر فيها عدداً أكبر من النجوم

ومن هنا يلاحظ أنه خير للمرء في شارع تام الاظلام أن ينظر إلى الأشياء شزراً، أي



من طرف المقلة . وهذا أمر يجب أن يألفه المرء ويتعود الاعتماد عليه ، ولا يستتب له إلا بالممارسة حتى يؤلف . فإذا لمحت شيئاً ما من طرف مقلتك ، وظننت أنك تستبينه بالنظر إليه مواجهة ، ثم حدثت فيه غاب عنك

ومما لا ريب فيه أن هذا النظر من طرف المقلة لا يستبين التفاصيل ولكنه يمكنك من أن تتبين شكل الجسم بوجه عام ، وهو خير من أن لا تتبينه على الإطلاق وتضطدم به . ولذلك يحسن بالسلطات أن تكتب التعليمات المقصود بها توجيه الناس في الظلام بحروف كبيرة بسيطة وأن ترسم السهام رسماً مبالغاً فيه ولا سيما رؤوسها ، ويجب أن تكون جميع هذه الحروف والرسوم بالأبيض على أرض سوداء أو بالأسود على أرض بيضاء

\*\*\*

وقدرة البصر في الليل لا تميز بين الألوان . فالعشب الذي تراه في الظلام بهذا البصر الثاني ليس أخضر ، والطوب ليس أحمر . ولكن هناك فرق بين اشراق الألوان المختلفة . ففي النهار ترى اللون الأصفر مشرقاً ، واللون الأزرق داكناً ، واللون الأخضر بين بين . ولكن مراتب الاشراق في هذه الألوان تختلف في الليل عند ما تُرى بالبصر الثاني ، عنها في النهار عند ما ترى بالبصر العادي

ولعلَّ أبلغ مثل على هذا الفرق ، يبدو في اللونين الأحمر والأزرق . ففي النهار يسهل التفريق بين ورقة حمراء وأخرى زرقاء ولو كان اشراقهما من مرتبة واحدة . ولكن خذ هاتين الورقتين إلى حجرة خافتة الضوء ، وانظر إليهما بعد ما تتعود عيناك الظلام فإذا ترى ؟ إنك أولاً لا تراهما ملونتين . وثانياً ترى الورقة الزرقاء أشد اشراقاً من الورقة الحمراء ، بل إنك لا تكاد ترى الحمراء

وما يصدق على الورق يصدق على المصابيح المطلية بالطلاء الأحمر أو الطلاء الأزرق . ادهن مصباحين أحدهما باللون الأحمر والآخر باللون الأزرق ، بحيث يكون اشراقهما من رتبة واحدة . ثم ضع أمام المصباحين لوحاً واحداً من الزجاج المدخن . وبعد ما تتعود عيناك الظلام انظر إليهما ، فترى اشراق المصباح الأزرق أقوى من اشراق المصباح الأحمر مئات الأضعاف . وهذا الفرق متصل صلة وثيقة بمسألة من أهم المسائل الخاصة بالظلام المدن لحجبها عن أعين الطيارين المغيرين . والمسألة هي هذه . . كيف نستطيع أن نضيء مصابيح الشوارع مثلاً ، بأضعف ضوء ممكن ليهتدي به الناس ، بغير أن يراه الطيار المغير ؟ والرد على هذا السؤال : بتلوين المصابيح ، إذا أحسن اختيار اللون . ويجب أن نتذكر أن عيني الطيار المغير ، قد تعودتا الظلام وأنه يعتمد على قدرة البصر في الليل . وأنت في الشارع بينما هو فوق محلق في الفضاء . فأنت تريد أن تتبين موقع خطوك لئلا تعثر . فبك حاجة إلى ضوء . ومهما



يكن لون المصباح الذي تستعمله فيجب ان يكون على درجة من الضياء تكفيك للابصار بقدرة البصر النهاري . ولكن الطيار قد يكون متربصاً ليرى بصيصاً ما . فاذا اخترت اللون الأزرق بدا في عيني الطيار المخلق مئات الاضعاف أقوى من اللون الأحمر . والنتيجة لا تحتاج الى بيان أوفى ثم ان اشراق الضوء الأزرق في الليل أعظم من اشراق الضوء الأحمر ، وهو لذلك أشد تأثيراً في اضعاف القدرة على البصر في الليل — أي قدرة البصر الثاني . فلاءمة العينين للبصر في الليل ليس أمراً سهلاً سريع التحقيق . وهي تستغرق نصف ساعة على الأقل . ولا يمكن استعجالها . ولكن الملاءمة التي لا تكسب إلا في نصف ساعة على الأقل قد تضيق في لحظة خاطفة . والتعرض لضوء باهر يضيقها ، وعندئذ لا مفر من الانتظار نصف ساعة أخرى أو نحوها لتفوز ثانية بالملاءمة الفسيولوجية البصرية . ومدى تضيق هذه الملاءمة واكتسابها ثانية ، يختلف باختلاف مدى التعرض للضوء ، وشدة اشراق ذلك الضوء كما يبدو لحاسة البصر الليلي . وعلى قدر ما يكون الاشراق قوياً ، وأمد التعرض طويلاً ، يزداد الوقت الذي لا بد من مضيئه قبل اكتساب الملاءمة البصرية ثانية ولما كان اشراق الضوء الأزرق أبهى بالقياس الى البصر الليلي من قدر مماثل له من الضوء الأحمر ، فاستعماله للرؤية يكون أفعل في اضعاف قدرة البصر الليلي . بل انك لتصاب بعمى قصير عابر بعد التعرض له ، الى أن تتاح الفرص الكافية لحدوث الملاءمة واذن فاستعمال المصابيح المطلية بالطلاء الأزرق في المدن التي تقتضي حالة الحرب اظلامها ، غير مستحسن بل ضار لسببين ، أما الأول فهو أنه أهدي للطيار الغير ، وأما الثاني فهو أنه أفعل في اضعاف قدرة البصر الليلي للمدحجين . والمصابيح المطلية بالدهان الأحمر هي دون غيرها ما يجب استعماله في هذه المدن وخيرها ما كان أشدها حمرة ويضاف الى ما تقدم ان الضوء الأزرق أسوأ ما تستضيء به اذا شئت أن تقيس تفاصيل شيء ما . وأسوأه ما كان أصفاه زرقاً . فالعيون البشرية لا تستطيع أن تستبين استبانة واضحة جسماً ما بالاعتماد على الضوء الأزرق . والكتابة لا تبدو واضحة اذا كان المصباح الذي تقرأ على ضوءه مطلياً بالدهان الأزرق . والقراءة في هذه الحالة تضني العينين . قال الكاتب (١) —

أنهم يستعملون المصابيح الزرق في لندن وان السلطات المسؤولة أوصت

(١) عالم من علماء فسيولوجية البصر وكيميائه ويدعى الدكتور ساليج هخت ويشغل منصب أستاذ البيولوجيا الطبيعية « بيوفيزيكس » بجامعة كولومبيا منذ سنة ١٩٢٦ وهو مؤلف مؤلفات مشهورة في أعمال الشبكة ودقة الابصار وابطار الالوان وكذلك في الاساس الكيميائي للبحر ، وقد نشر مقاله الذي جاءناه تلخيصاً وافياً هنا في مجلة هاربرز الاميركية



باستعمالها في الولايات المتحدة وان الخازن فيها تستعد لبيعها للجمهور . ولكن هذا غلط . فاستعمال الضوء الازرق في الاظلام خطر واستعمال الضوء الاحمر سليم . وقد أدرك الانكايز أخيراً هذا وكذلك الجيش والاسطول في الولايات المتحدة

\*\*\*

وهناك أخيراً في موضوع البصر في الظلام مسألة الصلة بين فيتامين A والعشو أو العمى في الظلام . فالعشو أو العمى في الظلام هو العجز عن الرؤية عند ما يكون الضوء ضعيفاً حتى بعد ما تتاح الفرصة الوافية للملاءمة العينين الفسيولوجية لحالة الظلام . ومرد هذا عند ما يصيب جماعات من الناس ، الى امتناعهم او عجزهم مدة طويلة عن أكل الخضر والزبدة والعشو يشفى بتناول طعام يحتوي على فيتامين A . وسبب ذلك اننا نحتاج الى هذا الفيتامين لتوليد مادة تدعى « ارجواني البصر » visual purple وهي هذه المادة التي تجعل العينين شديديتي الاحساس بالضوء مهما يكن خافتاً ، أي انها لازمة للبصر في الليل . فأولئك الذين يأكلون طعاماً نزع منه كل فيتامين A لا تتولد هذه المادة في عيونهم وإذا امتحنت عيونهم حينئذ ظهر فيها نقص في قدرتها على الاحساس بالضوء . وإذا بقي شخص ما ، شهراً كاملاً يأكل طعاماً ليس فيه فيتامين A ، احتاج الى مقدار من الضوء لرؤية جسم ما في الليل ، يزيد مائة ضعف على المقدار الذي كان يرى به وهو سوي واناقة الفرصة الكاملة لحدوث الملاءمة الفسيولوجية اللازمة للرؤية في الليل لا تجدي

ومن حسن الحظ ان الذين يعوزهم فيتامين A في طعامهم قلائل بل نادر . فالجزر والكوسى وجميع الخضر ، والزبد والبيض تحتوي على مقادير وافية منه ويندر بين الناس من لا يعتمد على طائفة من هذه المواد في طعامه . فالعشو على الأكثر ليس مرده الى نقص فيتامين A بل قد يكون مرده لسبب مرضي آخر كاضطراب الكبد او الكليتين والشفاء من العشو الذي يسببه نقص فيتامين A فعل بطيء . وقد يستغرق في أكثر الحوادث أسابيع وأشهرآ لا ساعات او أياماً . ولذلك يخطئ من يظن انه اذا أكل جزرة أو جزرتين قبل الخروج الى شوارع مدينة مظلمة ، تحسنت قدرته على الرؤية في الليل ومع ذلك فلا بد من التنبيه ، الى ان الأصحاء الاسوياء ، يختلفون اختلافاً بيناً في دقة احساس عيونهم بالضياء الخافت . وهذا التفاوت طبيعي وهو من قبيل تفاوتهم في القصر والطول والوزن وما أشبه . فبعض الناس ، خلق على ما نعلم وهو دقيق الاحساس بالضياء الخافت وبعضهم ليس كذلك . ولذلك قد يحسن ان تحاول السلطات غربة الناس من هذه



الناحية ، فالذين تتصف عيونهم بدقة الاحساس بالضياء يعينون لمراقبة الطائرات المغيرة على السطوح في مدينة معرضة للغارات الجوية ، والذين لا تتصف عيونهم بدقة الاحساس هذه يعملون ذلك فيعمدون الى الحذر والحيلة عند ما يسرون

\*\*\*

وكذلك نستطيع أن نلخص هذا البحث النفيس في قواعد عامة واضحة  
أولاً — تذكر ان الملاءمة البصرية للرؤية في الظلام تستغرق وقتاً ولا تعلم طريقة ما لاستعجالها . فاذا خرجت من حجرة باهرة الضوء فلا تندفع حالاً الى الشارع المظلم لأنه يبدو لك اشدّ ظلاماً مما هو حقيقة ، فعليك ان تتمهل واذا استطعت فتلبث قليلاً في الظلام قبل ان تخرج . تلبث عشر دقائق على الأقل بعد خروجك من الحجرة المضاءة ، ونصف ساعة ان كان ذلك ممكناً

ثانياً — اذا أصبحت في الشارع المظلم فلا تشعل عود ثقاب تستضيء به أو لفافة من التبغ . فضوء العود يبدو كشمعال لطيار محلق ، ويضيع عليك ما كسبته من قدرة البصر في الليل ، في اثناء تلبثك في الظلام قبل الخروج الى الشارع

ثالثاً — تعود ان تنظر في الليل ، الى الاشياء بمؤخر الموق وهذا يقتضي تعوداً ويستغرق وقتاً ولكن في وسع كل احد ان يتعوده بالممارسة

رابعاً — عند ما يكون الضوء خافتاً تتعدّر رؤية الألوان . فمن العبث أن تقيم في مدينة يرين عليها الاظلام الدقيق ، اعلاماً ملوّنة لهدي المسّرين

خامساً — اذا كان لا بدّ من اقل قدر مستطاع من الضوء لهذه الاعلام ، مثل الأعمدة القائمة في منتصف الشوارع ، فليكن الضوء احمر . واذا كان لا بدّ من استعمال مصباح كهربائي صغير للاستضاءة به فليطل زجاجة بطلاء احمر أو ليلصق عليه ورق « السلوفان » الاحمر

سادساً — لاحظ الطعام الذي تأكله ويشمل المواد التي تحتوي على فيتامين A فنقص هذا الفيتامين يسبب حالة العشو . ولكن لا تأكل هذه المواد قبل الخروج في الظلام لا يعزّز القدرة على البصر في الليل . واذا كان شك ما يساورك من حيث قدرتك الطبيعية على الرؤية في الليل ، بعد الملاءمة اللازمة ، فاذهب الى طبيب . واذا كان الضعف ناشئاً عن نقص غذائي كان من السهل اصلاحه ولكنه يستغرق وقتاً ما

سابعاً — تذكر أن عينيك أداة دقيقة فيجب أن تعني بهما . فلا تقرأ في حجرة ضوئها ضعيف او « ازرق » ولا تقرأ حتى على ضوء مصباح احمر الا اضطراراً . فقراءة الكتب المطبوعة والصحف والخياطة من الاعمال التي تقتضي ضياءً باهراً للشهوض بها بغير تكليف العين مشقة



# مجد الاسكندرية

جامعة فاروق الاول

إذا ذكرت الاسكندرية بين حواضر العلم في العصر القديم كانت حتماً في رأس الطبيعة . فلعلمائها في ميادين العلم النظري والعملية مكتشفات ومخترعات ما فتىء بعضها آية في الابداع والابتداع الى عصرنا هذا . ولأدبائها وفلاسفتها في نواحي الأدب والفلسفة القدح المعلى والذكر الخالد . ولعلها ما من مدينة في التاريخ القديم أو المتوسط تستطيع ان تباهي بكوكبة من العلماء والفكرين كالكوكبة التي تستطيع ان تباهي بها الاسكندرية : « حتى ولا اثينا في أوج عزها » . وان مدينة تستطيع ان تنظم في عقد عظمائها ، علماء من طبقة اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيرو وهيبارخس وبطليموس وهيروفيلوس وارااستراتس وارانستينيس وغيرهم ، ويقرن ذكرها في تاريخ العلم المحض والمطبّق بأصول الهندسة المسطحة وقواعد التشريح ومبادئ الطبيعة المحققة المجربة . وقياس محيط الأرض ومعرفة ميل دائرة البروج ووضع نظام كوني ظل سائداً أزمان العلماء الى خاتمة القرون الوسطى ، ان مدينة هذا شأنها لمدينة خليف بأن يستوحى تاريخها ، لا للاشادة بمجد غابر مجيد أو للبكاء على علم مضاع ، اكتفاءً بالاشادة والبكاء ، بل لاقامة الدليل على ان البلاد التي أظلت أولئك العلماء والفلاسفة وأنجبت بعضهم ، وأتاحت لهم جميعاً مجال الابداع في العلم والفلسفة ، تستطيع اليوم بما تلقاه من تشجيع مليكها الفتى الطموح الى العلى ، وغناية رجال الحكم فيها ، على اختلاف نزعاتهم وأحزابهم ، وتحفز شبابها الى الانتظام في موكب الفكر العالمي ، أن تعيد من ذلك العهد الزاهر سيرته الأولى

ولنا في افتتاح جامعة فاروق الاول بالاسكندرية ، بعد استواء جامعة فؤاد الاول بالقاهرة على أركان راسية ، أن نطل من كوة الخيال ، على مستقبل العلم والفكر في هذا القطر السعيد ، وأن نربط في عالم الواقع ، بحاضرنا ، بين ماضينا المجيد ومستقبلنا الذي وضع زمامه في أيدينا . ومن يدري ، فإنا إذا أحسننا التوجيه والارشاد وأجدنا العمل ، فقد نكون على عتبة عصر يُعيد الى الذهن عهد الازدهار العلمي والفني بالاسكندرية في عصر



البطالة ، وعهد مدرسة الحكمة في بغداد ، ومطلع النهضة العلمية الاوربية في القرنين الثامن عشر ومستهل التاسع عشر

\*\*\*

كان الباعث الأول على التفكير في انشاء جامعة فؤاد الاول توأماً في الحقيقة . أما أولهما فعلياً تقتضيه حالة التقدم العلمي في البلاد والاقبال على طلب العلم العالي بين شبابه ، فازدحم وفود الطلاب بأبواب جامعة فؤاد الاول ، فضاقت لطاق كلياتها جميعاً عن الاتساع لهم ، فكان لابد من التفكير في انشاء جامعة أخرى في القطر المصري ، تتيح للشبان والشابات العطشى الى ورود مناهل العلم العالي ، سبيلاً لتحقيق امانيتهم . واما الثاني فثاني ، يتصل من ناحية بمجد الاسكندرية العلمي في العصور الغابرة ، وضرورة بعثه واستحيائه ، ويتصل من ناحية أخرى بمقام مصر في نهضتها الجديدة . فبلدٌ يعدُّ شعبه ستة عشر مليوناً من السكان وترنو اليه انظار الشعوب العربية ، ويطمح الى ان يتخذ في موكب العمران مكاناً يليق بماضيه المجيد وآمال نهضته العصرية ، لا تكفيه جامعة واحدة وقد لا تكفيه جامعتان ولا سيما اذا كانت المقابلة مع طائفة من البلدان الغربية ، التي لا تضاهي مصر سكاناً وثروة ومنزلة عالمية على مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، وهي مع ذلك تباهي بجامعات كثيرة

وكان احمد لطفي السيد باشا اول من اقترح انشاء جامعة في الاسكندرية على مجلس الجامعة المصرية وكان ذلك في نحو سنة ١٩٣٧ فقلبي اقتراحه موافقة من ناحية ومعارضة من ناحية . وكان رائد الموافقين وحججهم ، انه لا مفر من التفكير في وسيلة لتخفيف الازدحام على جامعة القاهرة ، وان منطق التاريخ القديم والبعث الجديد ، يقتضي السعي الى استحياء مجد الاسكندري القديم . وكان في الفريق المعارض من يستكثر على مصر جامعة واحدة فكيف يرضى بجامعتين ، ومن يقول ان البلاد ليس فيها اساتذة اكفاء لسد كل حاجة الجامعة المصرية ، ولا بد من الاستعانة باساتذة من الاقطار الاوربية ، ومن يذهب الى ان نفقات الجامعة المصرية تبلغ نحو مليون جنيه كل سنة فاذا انشئت جامعة اخرى بالاسكندرية تضاعفت النفقة وخير من ذلك انفاق هذا المال في وجوه عملية كتحسين الصناعة والزراعة

على ان الرد على وجوه الاعتراض هذه لم يكن بعيد المنال . فالجامعة المصرية القديمة كانت تعتمد على الاساتذة الاجانب في عهدها الاول ثم تخرج من ابنائها عدد وافر من الشبان تمكنوا من علومهم وتقلدوا المناصب العلمية العالية في كفاية وامتياز . وهم الآن الكثرة في هيئة التدريس والاجانب هم القلّة . واذا كان لابد من استحضار الاجانب بالجامعة الاسكندرية المقترحة في الرحلة الاولى ، فليستحضر الاجانب

أما المعارضون بالمال فحججهم ضعيفة من أساسها ، لأنه اذا كانت مصر تباهي بتاريخها



العريق فيجب ألا تكتفي بالمباهاة ، وإذا كانت تطمح الى المقام العالي الذي تنصرف اليه آمالها ، بين اعم الشرق العربي ، وفي صلتها باوربا واميركا ، فعليها ان تشيد هذه الآمال على اركان راسية ، ومثل مصر العليا يجب ان تتشوف الى أوسع آفاق الحياة ، والحياة ليست كلها زراعة وصناعة ، بل ان ارتقاء التعليم ، وتوفير سبيل البحث والابتكار يفضيان حتماً الى ترقية أصاليب الزراعة والصناعة . وما من تقدم عظيم طراً على الزراعة والصناعة والمواصلات والمحاطبات ، إلا وكان مردّه الى العلم والبحث . فالجامعة ضرورة من الوجهتين المثالية والعملية جميعاً ، ولا بد مما ليس منه بد

وقد وقف الامر عند هذا الحد في التفكير الذي حركه لطفي باشا بمقتراحه الأول ولكن ازدحام وفود الطلاب بأبواب جامعة القاهرة حقيقة لا سبيل الى تجاهلها . فهل تنشأ فروع للكلية القائمة ولا سيما للكلية الآداب والحقوق والطب ؟ فلما استقالت وزارة المغفور له محمد محمود باشا وعاد احمد لطفي السيد باشا مديراً لجامعة فؤاد الأول ، تجدد التفكير في مقترحه السابق . وتألقت لجنة من مجلس جامعة فؤاد الأول لبحث الموضوع ودراسته وكان من أعضاء هذه اللجنة الدكتور علي باشا ابراهيم ( وزير الصحة حينئذ ) وهو من أشد رجال مصر تحمساً للجامعة الثانية وأشدّهم مطالبة بإنشاء ثلاثة في أسيوط . وعبد الحميد بدوي باشا ( وزير المالية حينئذ ) وهو من أشدّ الناس حرصاً في اتفاق مال الدولة . فتعذر على اللجنة أن تصل الى اتفاق لأن وزير المالية وقف سدّاً منيماً من الناحية المالية دون اقرار المشروع فتقرّر أن يحتكم الوزير ان الى مجلس الوزراء

وكان دولة حسين سري باشا رئيساً لمجلس الوزراء والدكتور محمد حسين هيكل باشا وزيراً للمعارف ، وكان الدكتور علي باشا ابراهيم وزيراً للصحة فخاهد في الدفاع عن فكرة إنشاء جامعة فؤاد الأول . واقتنع هيكل باشا بمبدأ إنشاء جامعة الاسكندرية فاستصدر مشروع قانون بإنشاء كلية مستقلة للحقوق في الاسكندرية ، فاعترض الدكتور طه حسين على ذلك بقوله انه اذا كانت هذه الكلية تابعة لجامعة فؤاد الأول فهي ليست مستقلة ، واذا كانت تابعة لجامعة الاسكندرية فجامعة الاسكندرية لم تنشأ بعد . فوضعها شاذ من الناحيتين . ولكن المشروع قدم للبرلمان . على ان الدكتور طه كان مقتنعاً بعدم سدادته فاجتهد ان يخبطه ، وفاز باستقالة الدكتور هيكل باشا الى رأيه . وهيكل باشا كان يعرف اشتداد بدوي باشا في مقاومة مشروع الجامعة الجديدة في مجلس الوزراء من الناحية المالية ، فاتفق الرأي على مخاطبة سري باشا في الموضوع ، فاتفق ، وهو الرجل الذي يعلم بالدراسة والخبرة ، منزلة الجامعات في ارتقاء العلوم النظرية والتطبيقية ، وكذلك تقرر عرض المشروع الأول — مشروع لطفي باشا — على مجلس الوزراء .



واتفق كذلك الدكتور هيكل باشا والدكتور طه على خطة للعمل ، فاقسما الدفاع عن المشروع وتأيمده ، فهيكـل باشا يتولى ذلك في مجلس الوزراء ، والدكتور طه في الصحافة ، فأصابا التوفيق في ما سعيـا اليه وقرّر مجلس الوزراء حينئذٍ مبدأ انشاء جامعة فاروق الاول . وكان مؤيدو مشروع انشاء جامعة الاسكندرية ، قد فازوا من محمد محمود باشا بوعد في خطبة العرش ، بالبناء هذه الجامعة ، فكان هذا الوعد سنداً قوياً لهم في حمل مجلس وزراء سري باشا على الموافقة . اما متى تنشأ الجامعة وكيف ، فالوقت لم يتسع امام وزارة سري باشا لتنفيذ القرار لانها استقالت في فبراير سنة ١٩٤٢

فلما وليت وزارة النحاس باشا الحكم ، وجدت فكرة الجامعة قائمة والمبدأ مقررًا فكانت مهمتها ان تتولى التنفيذ . فنظر في المشروع من ناحية تحقيقه وفي قوانين جامعة فؤاد الاول لوضع القانون الاساسي للجامعة الجديدة ، وأعد مشروع القانون وأقره مجلس الوزراء وعرض على البرلمان فوافق عليه ووضع الاعتماد للجامعة الجديدة في الميزانية وأقرت الميزانية فأصبحت جامعة فاروق الاول حقيقة

على ان هذه الحقيقة يجب أن تتجسّم كليات وأساتذة وطلاباً ، يشملها نظام دقيق . وتحقيق هذا شاق المشقة كلها . ولكن القانون صدر ، والمال متاح ، وقد وقع عبء التنفيذ العملي على عاتقي معالي وزير المعارف نجيب الهلالي باشا والدكتور طه حسين بك ، وأبلى الدكتور علي ابراهيم باشا في انشاء الجامعة الجديدة وتنظيم كلية الطب بها أحسن البلاء . وعلى رغم اضطراب الحالة الحربية خلال الصيف اتصل العمل في انجاز التنظيم اللازم وانشاء هيئة الاساتذة . وكذلك استطاعت جامعة فاروق الاول أن تفتح أبوابها للطلاب في يوم ١٧ أكتوبر قبل افتتاح سنة الدراسة الجديدة في جامعة فؤاد الاول بأيام . وقد بدأت الدراسة في ست من كلياتها وهي كليات الآداب والعلوم والحقوق والزراعة والتجارة والهندسة وينتظر أن تفتح كلية الطب أبوابها في شهر يناير ١٩٤٣ . وبلغ عدد الطلاب الذين سجّلوا أسماءهم في هذه الكليات حتى منتصف ديسمبر ١١٠٠ طالب منهم خمس وخمسون طالبة في مختلف الكليات ، وبينهم طلاب من جميع الأمم الشرقية ، في الكليات جميعاً ، من سوريا وفلسطين والعراق والحجاز وتركيا ، وممثلون لجميع الجنسيات الاوربية المتمصرة

والتاريخ سيسجّل للهلالي باشا وللدكتور طه هذه المأثرة العظيمة . فبينما كانت الحرب على أبواب الاسكندرية ، والذعر منتشرًا في طبقات شتى من الناس ، والمستقبل بيد الله ، كان الهلالي باشا والدكتور طه مكبين على دراسة المشكلات الكثيرة المعقدة التي لابد من حلها قبل انشاء جامعة كبيرة تنسب الى جلالة الملك فاروق الاول ، وتطمح الى احياء مجد



الاسكندرية العلمي والفني ، وتحقيق جانب من آمال مصر العلمية والأدبية وكان في مقدمة المشكلات التي عالجها مشكلة الاساتذة . خلافاً باختيار فريق من أساتذة جامعة فؤاد الأول ومن رجال وزارة المعارف وسائر الوزارات كالصحة والعدل ، من المصريين والأجانب ، ولعينهم في كليات الجامعة الجديدة . والمساعي مبذولة الآن لاختيار فريق من الأساتذة الاجانب ليتولوا تدريس مواد يتعدّد الآن اختيار مصريين لتولي تدريسها . ومن هؤلاء أساتذة انكليز من انكلترا وانكليز من جنوبي افريقية وفرنسيون من الذين هجروا فرنسا الى الولايات المتحدة ، وسويسريون وغيرهم . فهيئة التدريس نظمت بغير مشقة كبيرة ، وهي هيئة من الاكفاء . ولعل مشكلة المعامل في كلية العلوم كانت أشق على الحل من مشكلة هيئة التدريس . فالعلوم الحديثة لا تدرس بغير معامل مجهزة بالأدوات اللازمة للتجريب والاختبار . وقد أخذ من هذه الأدوات ما سهل أخذه ، من وزارة المعارف وكليتي الطب والعلوم ، بغير ان يؤثر هذا الأخذ في سير الدراسة في هذه المعاهد ، ويصح القول الآن بأن معامل كلية العلوم لا بأس بها الآن

أما مباني الجامعة الجديدة فقد نزلت الوزارة للجامعة عن المدرسة العباسية بالاسكندرية وهي دار نخمة متسعة ، فجعلت داراً لأربع كليات هي كلية العلوم والحقوق والآداب والتجارة وللمكتبة العامة . وحلت كلية الهندسة في المدرسة الصناعية التابعة لجمعية العروة الوثقى . وأجرت الوزارة للجمعية دوراً أخرى . وجعل المستشفى الأميري في الاسكندرية داراً لكلية الطب ، فهذا المستشفى مدرسة للطب ومستشفى تابع لها . وكانت التحية الأولى التي وجهتها بلدية الاسكندرية الى الجامعة الجديدة ان وهبتها مبلغ خمسين الف جنيه ليكون ريعها مرتباً لثلاثة أساتذة في الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة الاسلامية والهندسة البلدية على ان جامعة فاروق الاول لا يصح أن تكون ولن تكون صورة طبق الاصل لجامعة فؤاد الاول . فالتعليم العالي يجب ان تتوافر فيه الحرية الكافية لاختيار المنهج وطرائق التدريس والمواد التي تدرس . ومدينة الاسكندرية لها موقعها الجغرافي الخاص بها على ساحل البحر المتوسط وهي باب تطل منه مصر على تاريخ هذا البحر العريق في حضارات الأمم ، وعلى اوربا وما يليها من أمم هذا العصر . ثم ان للاسكندرية تاريخها القديم ولاسيما في عصر ازدهارها في العصر اليوناني الروماني ، كما لها مقامها التجاري والصناعي الخطير ، ومنزلتها كعشر من أكبر الثغور في البحر المتوسط في العصر الحاضر . فيجب ان يوجه التعليم الادبي والعلمي فيها توجيهاً يختلف عن توجيهه في جامعة فؤاد الاول ، على ان يضمن في الجامعتين قدر اساسي من اصول الثقافة يوفّر للطلاب جميعاً . واذا كانت جامعة فؤاد الاول تنظر الى الشرق القديم



والتاريخ العربي والحضارة الاسلامية فان جامعة فاروق الاول تنظر الى حضارة اليونان والرومان واوروبا الحديثة . واذا كانت الاولى تعنى عناية خاصة باللغات السامية والارامية والتركية وآدابها فان الثانية تعنى باللاتينية واليونانية واللغات الأربية وآدابها . ثم ان موقع الاسكندرية الجغرافي ومنزلتها التجارية تحتم على جامعتها توجيه الاهتمام الخاص الى علوم الاحياء المائية والاقويانوغرافيا والهندسة البحرية والصناعية وما اشبه . وكذلك تنشأ بين الجامعتين منافسة في الخير والعلم ، بغيران يكون بينهما اصطدام او مطابقة

وهناك كذلك فرق بين الهيئتين اللتين تشرفان على الجامعتين . ففي جامعة فؤاد الاول مجلس ادارة الجامعة قوامه مدير الجامعة ووكيلها وعمداء الكليات وواحد وعشرون أستاذاً يمثلون الكليات السبع ووكيل المعارف ووكيل المالية وأربعة أعضاء أو خمسة آخرون يعيّنون بمرسوم من غير الجامعيين . فالمجلس كبيرٌ وعدده أعضاء يبلغ أربعة وثلاثين عضواً أو خمسة وثلاثين عضواً فالمنافشات فيه متعذرة والمسائل التي تطرح للبحث لا تدرس دراسة وافية . ولذلك توخى منظمو جامعة فاروق الاول أن يكون أعضاء مجلس ادارتها أقل من أعضاء مجلس ادارة فؤاد الاول ، فهو مؤلف من المدير والوكيل وعميد كل كلية وأستاذ يمثلها ولم يعيّن من غير أقطاب الجامعة إلا مدير بلدية الاسكندرية بحكم منصبه . فعدد أعضاء المجلس سبعة عشر عضواً ، ينضم اليهم ممثل وزارة المعارف . وفي جامعة فؤاد الاول يعيّن المدير بمرسوم وينتخب الوكيل من العمداء ولا عمل له إلا اذا غاب المدير فينبوب عنه . أما في جامعة فاروق الاول فالمدير يعين بمرسوم والوكيل يعيّن وزير المعارف وله عمل يتولاه وينهض به هو مساعدة المدير فيقتسمان العمل وهذا يتيح لهما فرصة الاشراف على العمل في الكليات إشرافاً دقيقاً

\*\*\*

فنرجو ان تحقق جامعة فاروق الاول الأمل المعقود عليها ، وهو الأمل الذي وصفه الشمسي باشا<sup>(١)</sup> بين يدي المغفور له الملك فؤاد الاول فقال « أن زربي في شبيبة المتعلمين فيها ملكات حب العلم والتعمق فيها ، وحب البحث العلمي لتخرج في مصر طوائف من العلماء الباحثين المتجردين لطلب الحقائق العلمية ، واولئكم الذين يستطيعون ان يثبتوا لبلائهم العظيمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم ، وحينئذ يتهبأ لمصر ان تحتل قسطنطينية في بناء الحضارة العالمية ، وان تتشارك جماعة الأمم في العمل على تقدم المدنية ورفعة الانسانية »

(١) في الاحتفال بوضع حجر الاساس في بناء الجامعة بمدينة الاورمان في الجزيرة يوم ٧ فبراير ١٩٢٨



# كيف ينبغي

ان تكون العلاقات الاقتصادية  
لتحقيق تعاون عالمي

لصاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا<sup>(١)</sup>

طالما عني أقطاب السياسة والاقتصاد في جميع بلدان العالم المتمدين بمسألة تنظيم العلاقات الاقتصادية العالمية . وكثيراً ما سمعناهم ينادون بلسان بلادهم بضرورة حل هذه المسألة وشهدنا ما بذلوه من محاولة وسعي لوضع المبادئ التي تكفل التعاون المجدي بين الأمم في هذه الناحية . ومن هذه المبادئ ما سجل عقب انتهاء الحرب العالمية الماضية في وناثق رسمية . ولكن ذلك لم يفته بها الى نتيجة . ثم اندلعت نار الحرب الحاضرة فلم يبق منذ نشوبها زعيم سياسي ولا قائد من قادة الشعوب في القارات الخمس من أي لون ومن أي فريق كان دون أن يعلن على رؤوس الأشهاد اعتناقه تلك المبادئ ويشيد بما يعود من وراء اتباعها ، من الخير العميم على جميع الاقطار غير أن هناك بين وضع المبادئ وتطبيقها طائفة من الحقائق منها ما يقع تحت سلطان السياسة ومنها ما يتصل بالبيئة الاجتماعية ومنها ما هو خاضع للسنة الاقتصادية وهي لا تستقر على حال لأنها تابعة لظروف الزمان والمكان . وهذه الحقائق — لا القواعد والمبادئ الموضوعة — هي التي يجب أن تسكف التنظيم المقصود اذا ما أريد الوصول به الى الغاية المنشودة . لقد كنت أود أن لا يتعدى حديثي حدود الناحية التي تتبع شؤونها عن كتب ولها في تقديمي مكانة خاصة وأعني بها الناحية الصناعية التي ما برحت أحوطها بعنايتي وأقف عليها أخص جهودي منذ ثلاثين سنة لولا أن المبادئ التي يجب أن تهيم على العلاقات الاقتصادية العالمية هي عين المبادئ التي تنطبق على جميع نواحي النشاط الانساني . وفي مقدمة هذه المبادئ مبدأ التضامن والاعطاء البشري وهو المبدأ الذي أجمعت الأدیان السماوية على تلقينه . وكان شعار جميع الثورات الاجتماعية وهدفها . ولكنه للأسف الشديد لم يخرج في كثير من الاحوال عن حيز الآمال ولا أقول الأوهام



فهناك نزعات جنسية ودينية لا تزال عالقة بالأذهان في بلدان كثيرة . ومن شأن هذه النزعات أن تفرق بين الجماعات وتبذر بينهم بذور التقاطع والشقاق . ومع ذلك لم يقتصر الأمر على مجرد وجود هذه النزعات بل منها ما اندمج في صلب تشريع تلك البلدان وهذه الأوهام والنزعات التي يرجع إليها الشيء الكثير من المتاعب هي التي يجب على القادة والسياسيين أن يعملوا على استئصال شأفتها إذا ما أريد تحقيق الغاية التي يصبون إليها وهي إقامة نظام جديد في العالم يكون أقرب الى الوفاء بالمطالب الانسانية يتعين عليهم ذلك ، فقد حان الوقت الذي يجب أن يعلم فيه الناس أن ليس ثمة أجناس منحطة وأجناس راقية ، بل كل ما في الأمر ان هناك جماعات لم تسعدها احوالها الخاصة أو ظروف الأمكنة التي تقطنها، ولكنها تتطلع جميعاً الى ما يصلح حالها وانها جميعاً على حق في المطالبة بهذا الاصلاح

أما المبدأ الأساسي الثاني فهو مبدأ الحرية وأقصد بها الحرية بآتم معانيها وفي جميع أوضاعها وان دعت الحاجة الى مراقبتها وتنظيمها وتوجيهها في اتجاهها الصحيح . واعتقادي ان هذا المبدأ هو النبراس الذي يجب أن يستضاء بنوره في وضع بقية المبادئ وأن يطعم بطابعه جميع وجوه النشاط وعوامله وفي مقدمتها العامل الانساني نعم يجب أن يكون في استطاعة كل انسان أن يوجه نشاطه الى حيث يستطيع الاستفادة منه على الوجه الذي يعود عليه وعلى المجتمع بأعظم قسط من الخير

أما ما نراه في أيامنا هذه من قواعد صلبة ونظم جافة تحد من حرية الناس في الارتحال من بلد الى آخر سواء للقامة الدائمة أو الموقوتة وتقضي بالتثقل على الراغبين في الهجرة بأسئلة لا حدها وبالتدخل في شؤونهم الخاصة وتعطيل مصالحهم باجراءات لا نهاية لها، فيفضل زيد على عمرو ويسمح للأول بدخول البلد الذي يؤمّه ويحال بين الثاني وبين نيل بغيته، فليس من وراء كل ذلك إلا عرقلة مجرى العلاقات الاقتصادية والحيلولة دون الاستفادة على الوجه الأتم بالعنصر البشري الذي هو أهم عناصر الانتاج قيمة وأعظمها شأنًا وسيظل كذلك مهما يبلغ من تقدم المخترعات الآلية وغيرها . وليس معنى ذلك فتح الباب على مصراعيه لكل وارد دون احتياط أو ضمان . ولكن هناك فرقاً شاسعاً بين اطلاق العنان لحرية الهجرة دون مراعاة لما يعترض هذه الحرية من اعتبارات اجتماعية واقتصادية وسياسية وصحية وما إليها ، وبين النظم التي تخضع بالسماح لشخص ما بدخول بلد ما لاعتبارات تتصل بعنصره ودينه وثروته وماضيه الأدبي والصحي والسياسي

ان من الواجب أن يسهل على أفراد الطبقات العاملة ورجال الاعمال دخول بلاد غير



بلادهم والخروج منها وأن تفتح الأبواب للمشروعات التي يرجى منها منفعة للبلاد التي يريد أصحاب هذه المشروعات أن يأووا إليها على أن يشترط عليهم بطبيعة الحال أن يحترموا عاداتها وقوانينها وأن يراعوا حق الضيافة

ولقد كانت هذه المسألة موضع مناقشات طويلة وقرارات طنانة اتخذتها عصبة الأمم أملاً في التوصل إلى خفض الحوائث التي أقيمت في وجوه الناس في أوائل القرن الحاضر خالت دون حريتهم في التنقل غير أن تلك المناقشات والقرارات كانت من التفاهة بحيث لا يعتد بها ويرجع ذلك إلى انعدام الشعور بالأمن بين الأمم وارتباب كل واحدة منها في نيات جاريتها لهذا كان من المتعين وضع نظام دولي يؤمن به جانب كل عدوان من هذه الناحية هذا فيما يتعلق بالأشخاص . ثم إن هناك رؤوس الأموال وهذه أيضاً يجب تحريرها من الاغلال التي تجعل تداولها غاية في الصعوبة إن لم تحل دونها إطلاقاً

فكما أن كل إنسان يجب أن يتاح له الانتقال إلى حيث تستطيع الاستفادة من خدماته على وجه أوفى ، كذلك يجب أن يكون في الأماكن نقل ثمرة جده واجتهاده إلى حيث تكون الحاجة إليها أعظم ، لأنهما متلازمان إذا حبس أحدهما جمد الآخر . وما أكثر البلدان التي لا يستطيع الإنسان أن يخرج منها المال الذي اكتسبه بكده وعمله إذا أراد الانتقال إلى بلاد أخرى وعندئذ يجد نفسه أمام شيتين لا ثالث لهما فإما أن يبقى حيث هو ولو اضطر إلى أن يقضي بقية حياته متعطلاً وأما أن ينزل عن التمتع المشروع بثمره عمله

على أن مشقة تداول الأشخاص والأموال لا ترجع إلى القيود التشريعية وحدها بل إن لمسألة النقود دخلاً كثيراً في هذه الصعوبة . وما دامت الفكرة قد اتجهت إلى إنشاء اتحاد أو اتحادات للأمم الأوروبية أو غير الأوروبية فلعل من الواجب أيضاً أن يفكر في توحيد العملات والصرف . وناهيك ما يضطر المسافر إلى الحصول عليه ثم استبداله من صنوف العملات الأجنبية التي يحتاج إلى الأنفاق منها في أثناء طريقه برّاً من مصر إلى لندن مثلاً وإلى جانب حرية تداول الأشخاص ورؤوس الأموال يجب العمل على تسهيل تداول الأفكار إذ ليس ثمة من يستطيع أن يقول إن التقدم الرائع في وسائل النقل التلغرافي والايثري والجوي والبري والبحري يستغل اليوم إلى أقصى حدود الاستغلال وفي أتم حرية . فهناك عقبات يطلق عليها اسم الرقابة تحول دون الاتصال الفكري بين الأمم

وإن كنت أتكلم على حرية وسائط النقل فأفهم أقصد الاوقات العادية طبعاً — أي أوقات السلم — لا هذه الفترة التعسة التي أصبح فيها تقدم تلك الوسائط في حكم العدم في بعض نواحيه . وحسبنا أن الرسالة التي يبعث بها أحد التجار تستغرق قبل أن تصل إلى يد عميله وقتاً



أطول مما كانت تستغرقه في العصور الغابرة أيام كان يستعان على نقل البريد بالعربات التي تجرها الجياد والآن انتقل الى مسألتين دقيقتين لا يتسع المقام للافاضة فيهما وتوفيتهما حقهما من البحث فلا أنكم عنهما الاً لماماً وهما مسألة توزيع المواد الاولية ومسألة تبادل المنتجات الصناعية والزراعية وغيرها بين الاهلين

اما اولاهما وهي مسألة التمون بالمواد الاولية فطالما كانت الشغل الشاغل لكثير من الكتّاب بل لقد سالت في سبيل حلها الدماء . فكم من حرب استعمارية وغير استعمارية أثارت، وكم من خلاف قام بسببها بين الدول عن رغبة او ضرورة تدفعها الى السعي للاستيلاء على مصادر تلك المواد . وقد أخذ الساسة القابضون على أزمة الحكم في البلدان المتحاربة والمحايده يشيرون في خطبهم منذ بدء الحرب الحاضرة الى ما تقضي به الضرورة من تسوية مسألة توزيع المواد الاولية واتخاذ التدابير التي تكفل لكل أمة ان تصل الى مصادر التمون من هذه المواد ومما يدل على ان الأمم لا تتمتع جميعها بكامل حريتها في ارتياد تلك المصادر ان هذه المسألة قد جعلت في عداد المسائل التي سوف تتناولها التسوية النهائية عند انتهاء الحرب

نعم ان لكل انسان من حيث المبدأ ان يبتاع ما يحتاج اليه من المواد الاولية بمعنى ان أسواق هذه المواد طليقة يؤمها من يشاء اذا ما استثنينا أصنافاً لا يسمح باخراجها وأخرى تشدد الحكومات في مراقبة الاتجار بها بالنظر الى قلة ما يوجد منها في أيدي الحكومات التي تمتلكها . غير ان الامر يصبح على خلاف ذلك في بعض الحالات متى عمدت الحكومة التي تسيطر على مصدر التمون الى اقامة العقبات في سبيل الوصول اليه أو جعلت الوصول اليه كبير النفقة لغير ابناء بلادها باتخاذها شتى التدابير النعمية كالحد من وسائل النقل او زيادة أجوره أو حظر الاستغلال أو الحد منه او منح الاعانات او احتكار الاستغلال والبيع أو ما شاكل ذلك إنه لا ينكر طبعاً على الدول التي تنتج بلادها مواد اولية معينة ان تحتفظ لنفسها ببعض الحق في استعمال هذه المواد في أغراضها الخاصة وفرض ضريبة جركية على ما يصدر منها . أما ان تلجأ تلك الدول ولا سيما الدول التي تسيطر على امبراطوريات شاسعة الأرجاء مترامية الاطراف او التي تكون الطبيعة قد هيأت لها احتكار بعض المواد أو ما يقرب من الاحتكار، أقول اما ان تلجأ هذه الدول الى الحد من عرض تلك المواد في الأسواق الأجنبية فهذا ما لا أظن في الاستطاعة نعتة بالتعاون العالمي بل هو الى حد ما لا يتفق مع ما تريده الحركة الالهية من ان يكون لكل انسان حق التمتع بنصيب من جميع الخيرات التي حبستها الأرض والتي شئت ان يكون توزيعها على وجه يربط القارات والبلدان بعضها ببعض الآخر فلا يستغني أحدها عن الآخر



وللوصول الى تحديد العرض تسلك تلك الدول سبلاً متعددة . فهي تصل الى غرضها مباشرة بواسطة تحديد الانتاج في منجم او اقليم من الأرض ، او عن طريق الاخيران او اعدام المنتج او توسيع نطاق المعدات القومية على وجه يمكنها من ان تحول في داخل بلادها جميع المقادير المنتجة من احدى المواد او الشطر الأكبر منها ، فترغم البلدان الأجنبية على مشتري منتجاتها التامة الصنع . كذلك تلجأ تلك الدول في سبيل الوصول الى غايتها الى تنظيم وسائل النقل على النحو الذي تستطيع به توجيه الانتاج جميعه ، شطر بلد واحد والى رفع أسعار البيع للبلدان الأجنبية وما شاكل ذلك . ومن شأن هذه الوسائل جميعاً ان تقلل مباشرة من العرض في الأسواق الأخرى بسبب ما تحدثه من قلة السلعة فيها كما أنها تؤدي من طريق غير مباشر الى ارتفاع غير طبيعي في الأسعار تستفيد منه الصناعة او التجارة القومية

ولا شك ان للجري على مثل هذه السياسة آثاراً خطيرة ولا سيما فيما يتعلق بطائفة من المنتجات كالمطاط والنترات والبن والنحاس وكثير غيرها مما ينحصر انتاجه في اقليم واحد او اقليمين من التي حبتها الطبيعة بخير حرمت غيرها إياه

ولقد انتهى اتباع هذه السياسة الى أعمال أدهشت ذوي العقول الرزينة وأثارت حنق جماهير الناس فمن ذلك ما شهدناه من ائتلاف مقادير هائلة من البن في البرازيل ومن رواسب السكر ( mélasse ) في جاوه . بل وفي مصر أيضاً . ومن النبيذ في فرنسا ومن القمح في بعض الاقاليم وهلم جرا . ومن أمثال ذلك ما انضج من التلاعب أو ما هو في حكمه بغية رفع الأسعار لمصلحة طائفة قليلة من الناس دون أن يعبا المتلاعبون بما يعود من وراء عملهم من الضرر على مئات الملايين من المستهلكين الرقيقين الحال

فأمثال هذه الأعمال وأمثال هذه السياسة يجب العمل على القضاء عليها لأنها مما يحط من قدر الانسان وكرامته بل هي من الاسباب الأساسية للحرب التي تعاني الانسانية شرورها وقد أرادوا أن يسوغوا بعض هذه التدابير فزعموا ان البلدان التي اتخذتها اضطرت اليها اضطراباً بسبب زيادة الانتاج عن حاجة الاستهلاك العالمي ، مع ان هذه الزيادة ليست حقيقية بصفة عامة فيما يتعلق بالمنتجات وهي في المرتبة الاولى من الضرورة ، ولا فيما يتعلق بالمواد الأولية الأساسية . وكل ما في الأمر هو ان هناك على الدوام قلة استهلاك في بعض البلدان والاقاليم يرجع سببها الى سوء توزيع الدخل القومي والعالمي

ولا أدل على ذلك من أن مسألة اصلاح هذا التوزيع ما برحت تعالج وتبحث منذ نصف قرن وانها أصبحت منذ نشوب الحرب الحاضرة في مقدمة ما يشغل أفكار الساسة . وقد قطعوا شوطاً بعيداً في سبيل معالجتها وخصوصاً عن طريق فرض الضرائب ذات التدرج



التصاعدي ومن التشريع الاجتماعي غير انه لا يزال هناك الشيء الكثير مما يجب عمله وسوف يعمل رغماً عن كل مقاومة واعتراض . نعم لقد عقدوا العزم على سبق الحوادث والسير في هذا السبيل في تودة وانتظام حتى لا تدهمهم الحوادث يوماً من الأيام فيضطروا تحت ضغطها الى أن يهرولوا في هذا العمل على غير هدى ( وكما كنت أود أن لا تكون بلادنا من تلك التي ينتظر فيها الساسة ان تدفعهم الحوادث بدل أن يعملوا على تفادي وقوعها )

\*\*\*

وأما المسألة الثانية الهامة وهي أشد تعقداً من الأولى فمسألة تبادل المنتجات المصنوعة بين الأمم . وتتصل هذه المسألة اتصالاً وثيقاً بحرية التبادل التجاري والحماية الجمركية والاقتصاد الموجه أي ما يسمونه *économie dirigée* والاقتصاد المرسوم وهو الذي يطلقون عليه اسم *planisme* وغير ذلك من النظم النظرية التي يدل على صعوبة تحقيقها ما أدلى به خول علماء الاقتصاد في جميع الاقطار من آراء متضاربة لا سبيل الى التوفيق بينها كذلك تتصل هذه المسألة بشؤون المالية العامة لأن خزانة الدولة في كثير من البلدان تستمد شطراً كبيراً من غذائها مما يجي في هذه البلدان من ضرائب جمركية والحقاني ، اذا ما سئلت عن رأيي ، لست ممن يميلون الى افتحاح المبادئ التعميمية المطلقة أو يعتقدون فائدة فرضها . بل اني ممن يثقون بفائدة العهود الدولية وهي عهود يمكن تسهيل الوصول بها الى الغرض المقصود بما تقفه الامم الصناعية الكبرى حيال انقاذها من موقف تعززه بعقوبات اقتصادية دولية تفرض على الامم الخارجة على تلك العهود لغیر سبب وجيه . أما العودة الى حرية التبادل التجاري بين الامم فهي اليوم أبعد عن حيز الاستطاعة منها في أي وقت مضى بعد ان أخذت جميع الامم التي لم يكن قوام اقتصادها صناعياً تنشئ في بلادها في خلال هذه الحروب طائفة من الصناعات التي لا يحشى عليها من الاندثار بعد الحرب وليس من المعقول أن يطلب الى هذه الامم أن تتخلى عن هذه الصناعات ليخلو الطريق لمصنوعات غيرها

وعلى هذا فان كل ما يمكن تحقيقه هو الاتفاق على المضي شيئاً فشيئاً في إلغاء الضرائب الجمركية التي يقصد بها الى الحماية المفرطة وهي التي لا يختلف اثنان من أهل البصائر فيما تنطوي عليه من ضرر من الناحية القومية . والى جانب ذلك يجب عقد اتفاقات دولية لمكافحة الاغراق ( اي الدمينج ) على مختلف صوره واوضاعه وخصوصاً ما يتخذ منه اداة لحرب منافسة غير مشروعة يقصد بها القضاء على ما يقوم به المنافس من انتاج عادي راجح ثم يجب تحديد حصص جبرية للاستيراد والاصدار كما يجب وضع حد ادنى للاجور



عامة في كل بلد يراعي فيه بيئته الاقتصادية والاجتماعية ودخله القومي . وتنظيم ارتباط المصالح الصناعية الكبرى بعضها البعض والعدول — بواسطة اتفاقات دولية — عن الاستئثار باستغلال المخترعات والمبتكرات التي تهم العالم في مجموعه الى غير ذلك كذلك يجب ان يقوم كل بلد من البلدان — كما كان يفعل في عهد المعاهدات التجارية — بمجرد مطالبه ومستطاعاته فيعين الحد الأدنى لما يحتاج اليه والنواحي التي يمكنه ان يتساهل فيها لغيره والنواحي التي لا بد من أن يتساهل له الغير فيها

وقد اطلعنا في الصحف على ما يستفاد منه ان الحكومة قررت تأليف لجنة من كبار الموظفين عهدت اليها في اجراء جرد من هذا النوع . غير اننا لم نجد في مشروع الحكومة ما يحقق شرطين اساسيين لا بد منهما لنجاح هذه اللجنة في مهمتها وهما تقسيم العمل بين اعضائها والاستعانة بفريق من الفنيين المتخصصين بمثل هذا العمل

على ان شؤون الاقتصاد الحديث هي من الشعب بحيث لا تستطيع لجنة مهما تبلغ من دراية اعضائها ان تعالج جميع ما سوف يعرض لها من معضلات ولو استطاعت ذلك لما انتهت منه في الوقت الملائم . وعلى هذا فان الواجب ان يقسم العمل على عدة لجان فرعية وان يستعان فيها بخبراء يدفع لهم اجر لكي يتفرغوا لعملهم فيها فيقوموا باعداد المسائل التي يجب عرضها على كل واحدة من هذه اللجان الفرعية . ثم تقدم كل لجنة منها تقريرها الى اللجنة المركزية فتطرحه هذه على بساط البحث والنقاش في اجتماعات عامة يحضرها الخبراء

\*\*\*

ومجمل القول ان مصر يجب عليها ان تتأهب للمستقبل من الآن لكي لا تؤخذ على غرة متى حان وقت التناقش في بعض المسائل التي اوجزناها

يجب عليها ذلك حرصاً على خير اقتصادنا الغض الذي هو الآن في ابان نهضته ونموه . فقد قمنا بشق الانفس منذ الحرب الماضية بتشديد صرح صناعي عاد علينا بفوائد لا تقع تحت حصر وهذا الصرح الذي نعز به ونحمد الله على وجوده بين ظهرائنا في هذه الحقبة القاسية يجب ان يصان من الأذى والألّا كان تعريضه للخطر تقصيراً لا يغفر

وقد أضفنا كثيراً الى هذا الصرح منذ سنة ١٩٣٩ فان كنا لا نطمح في بقاء كل ما أضفناه اليه متى وضعت الحرب اوزارها فان القسم الاكبر منه يرجى له البقاء . وربما دعت الضرورة في سبيل الوئام بين الامم الى التضحية بشيء من مصالحنا الصغرى التي هي وليدة حاجات الحرب الوقتية ولكن يجب أن ندافع بكل ما أوتينا من قوة عما لا مندوحة لنا عن استبقائه للمحافظة على آثران اقتصادنا ورفع مستوى المعيشة بين الطبقات العاملة في بلادنا .



# الحياة العلمية في مصر

بعد ربع قرن

للدكتور علي بك مصطفى مشرفة  
عميد كلية العلوم



العلم رائد

- ١ -

العلم مجموعة من الدراسات لها غرض ثابت ومنهاج واضح ودائرة محددة . فأما عن الغرض فهو الوصول الى المعرفة . وأما عن المنهاج فإن العلم يستخدم في بحثه نتائج الخبرة المباشرة عن طريق الحواس كما يستخدم التفكير المنطقي المنظم . وأما عن دائرة العلم فهذه هي الطبيعة ! أو هي كل ما يمكن أن يشاهد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . هذه الأمور الثلاثة على بساطتها كثيراً ما تغرب عن بال من يتعرضون للكلام عن العلم والعلماء . وتنقسم العلوم كما تعلمون الى أقسام مختلفة تبعاً لموضوعاتها . فعلم الفلك مثلاً موضوعه الأجرام السماوية وحركاتها في الفضاء وصفاتها الطبيعية . وعلم الكيمياء موضوعه المركبات والعناصر وطرائق تألفها وتفرقها . وعلم النبات موضوعه النبات ، وعلم الحيوان موضوعه الحيوان وهكذا . على أن تقسيم العلوم إنما هو أمر اعتباري ، فالطبيعة متصلة الأجزاء ، ولذلك فالعلم متصل الأجزاء ، والعلم بالمعنى الذي وضحتهُ يسمى في بعض الاحياء بالعلم البحت تمييزاً له عن العلم التطبيقي أو التكنولوجيا ، والعلاقة بين العلم والبحث وبين العلم التطبيقي تشبه العلاقة بين العلم والعمل . فالكيمياء مثلاً أحد العلوم البحتة ، فهي دراسات يقصد بها معرفة تفاعلات العناصر والمركبات معرفة موضوعية ، والعالم الكيميائي إنما يعنى بالوصول الى هذه المعرفة ، والكشوف الكيميائية إنما هي الزيادة في هذه المعرفة . أما الكيمياء الصناعية فعلم تطبيقي يقصد به تطبيق الكيمياء على الصناعة واستخدام نتائج العلم البحت في خدمة الصناعات البشرية . فالعلوم التطبيقية إذن ليست علوماً بالمعنى الصحيح ، وإنما هي صناعات أو فنون أو هي كما يسميها الافرنج تكنولوجيا . ومن أبسط الأمثلة على ذلك العلاقة بين هندسة اقليدس وبين فن المساحة أو صناعة المساحين ، فاقليدس كما درسناه في المدارس الثانوية مجموعة من القضايا مستنتجة من تعريفات وبديهيات أولية تعنى بدراسة الفضاء الذي نعيش فيه وبخواص هذا الفضاء الذاتية ، فهي علم بحت بل لقد قيل إنها تفكير بحت . أما



صناعة المسّاحين فأمر آخر يقصد به تجزئة الاراضي بنسب معلومة بين ملائكمها أو رسم خرائط يرجع اليها في خدمة المصالح البشرية

ونحن اذا رجعنا الى تاريخ العلوم وجدنا ان اشتغال الناس بالعلوم البحتة وطلب المعرفة لذاتها قديم كقدم المدنية البشرية ، فالمصريون والبابليون والاعريق والعرب بحثوا عن الحقيقة الموضوعية شغفاً بها ورغبة فيها وليس هذا بغريب اذ أن الطفل في حداثته شغوف بطلب المعرفة ، ولوع بمعرفة ما لم يكن يعرف . هذا التعطش الى ادراك الحقيقة جزء لا يتجزأ من النفس البشرية يلزم الانسان من مهده الى لحده ، وهو قوة يستخدمها الربون في تعليم النشء وثقافته كما انه عامل أساسي في تطور العمران . على انه اذا كان حب المعرفة متأصلاً في نفوس الناس جميعاً فان التفرغ للعلم والعناية به وقدره حق قدره من مميزات الخاصة دون العامة من الناس . فمن لم يتذوق حلاوة العلم في صغره شب جاهلاً ، بل ان الكثيرين ممن تعلموا ووصلوا الى درجة لا بأس بها من المعرفة قلما يجدون في العلم متعة أو لذة فكرية . ومن أصعب الامور على العالم أن يقنع الجاهل بقيمة العلم . كما ان من أصعب الامور على قواد الفكر في أمة جاهلة ان يقودوا الرأي العام فيها نحو الاهتمام بالعلم وهم يلجأون في الغالب الى نوع من التحايل البريء ليصلوا الى أهدافهم ، فالجاهل لكي يقتنع يطلب شيئاً مادياً يقتنع به ، واذن وجب لاقناعه بمزايا العلم ان تترجم هذه المزايا الى أشياء مادية ملموسة يفهمها اصحاب المتخيلات الضيقة

وفي العصور الماضية من تاريخنا وعلى وجه الخصوص في العصر الاسلامي كان الحكام والامراء يقرّبون العلماء ويعترفون بفضلهم ويسرون لهم عيشهم لكي يتمكنوا من القيام بواجبهم السامي في خدمة العلم ، ولولا ذلك لما ازدهرت العلوم في العصر الأموي والعصر العباسي ولما خلد العرب لأنفسهم ما خلدوه من فضل على العلوم ، وكانت الحياة العلمية في الامة ناضجة قوية ولو انها كانت محصورة في دائرة من خاصة الناس ، فكانوا يغشون مجالس العلماء ويختلفون اليها وكان ذلك كله مظهرآ من مظاهر الحياة العلمية في الامة

ولما انتقلت معارف العرب الى الافرنج في أوربا نهجوا نهج العرب وقام أمراؤهم وملوكهم باحتضان الحركة العلمية وتشجيعها فأُسست الجامعات في القرون الوسطى وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ثم تلا ذلك النهضة الفكرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر فأُنشئت المجامع العلمية في القرن السابع عشر وازدادت الحياة العلمية والفكرية نشاطاً وحركة بين الاوربيين حتى وصلت الى ما هي عليه في عصرنا الحالي .

ونحن في مصر ماذا كان حظنا من هذا كله ؟ من المسلم به أننا قننا بنصيب حسن واشتركنا اشتراكاً جدياً في تقدم العلم في عصور الحضارة المختلفة الماضية ، بل ان من



المؤرخين من يجعل للمصريين القدماء فضل السبق في استنباط العلوم ووضع أسس الحضارة البشرية وسوائها أصبح هذا الرأي أم لم يصح فلا شك في أننا قمنا بدور هام في تاريخ العلوم منذ فجر التاريخ حتى نهاية العصر الاسلامي أي الى نحو القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، كما أنه مما لا شك فيه أيضاً أنه قد أتى علينا حين من الدهر لم يكن عملنا العلمي فيه شيئاً مذكوراً. هذا الحين يمتد ما يقرب من ألف سنة من القرن العاشر إلى القرن العشرين على وجه التقريب فكأنما ضرب على أذاننا في الكهف سنين عدداً، ولا أحاول اليوم أن أبحث في أسباب هذه الغفلة الطويلة وإنما اكتفي بالإشارة إليها كأمر واقع. على أنه لا بد لي في هذا الصدد من الإشارة إلى ما بذل من جهود صادقة في النصف الأول من القرن الماضي لبعث الحياة العلمية في مصر في عهد المغفور له محمد علي الكبير، فمن المعلوم أنه بذل جهد جبار لإحياء العلوم بيفنا وأنه أرسل البعث العلمية إلى بلاد أوربا وأنه نجح فعلاً في تخرج نفر غير قليل من العلماء المصريين. ولو أن هذه الحركة اتسعت وانتشرت لكان حاضرننا العلمي خيراً مما هو الآن بكثير ولكن في استطاعتي أن أحدث اليكم عن مستقبلنا العلمي حديثاً آخر يركز إلى حاضر مجيد ولكن الحال قد شاءت أن تحبوا النار التي أوقدت وأن يوارى أوارها فكانت الحياة العلمية في مصر في أول القرن العشرين هي هي في أول القرن التاسع عشر وكأنما أضيف قرن آخر إلى مرحلة مسياتنا العلمي أو على الأصح كأنما تحركنا فرجعنا إلى حيث بدأنا

وإن من واجب كل مشغل بالحركة الفكرية في مصر اليوم أن يوجه عناية خاصة إلى دراسة هذه التجربة الفاشلة في حياتنا العلمية في القرن الماضي وليس يكفي أن ننسبها إلى ضعف سياسي أو اضمحلال خلقي، مع أن هذين العاملين لهما ولا شك أثر بليغ فيما حدث، بل يجب أن ندرس الوسائل التي استخدمت والجهود التي بذلت وأن نعرف حقيقة أهدافها ثم علينا بعد ذلك أن نستنبط الأسباب المباشرة لاضمحلال الحركة وعقمها ليكون لنا من تاريخنا الحديث نبراس نستضيء به في توجيه مجهودنا الحالي. وفي الحق إن إنشاء حركة علمية وتغذيتها وإعماؤها لكي تقوى وتشد، وإن غرس شجرة المعرفة في أمة لكي تكون شجرة طيبة أصلها ثابت ثؤتي أكلها — إن هذا كله ما كان يوماً ما من الهنات الهينات، وليس يكفي أن يقال إننا أنشأنا كيت وكيت من المعاهد العلمية أو شيدنا هذا وذلك من دور العلم والتعليم أو أرسلنا البعث أو اعتمدنا الميزانيات، كل هذا وإن كان لازماً إلا أنه غير كاف فمن السهل التغرير بالامة في هذه الشؤون كما هو من السهل التغرير بها في شؤونها الأخرى وخاصة إذا كانت الاغلبية الساحقة من هذه الأمة لا تزال على فطرتها البريئة، فسياسة المظاهر شيء



ان انشاء الجامعات العلمية قد اقترن بالحياة الفكرية الحديثة منذ نشأتها . فالجمع العلمي في انكلترا وهو الذي يسمى « الجمعية الملكية » بدأ حياته منذ سنة ١٦٤٥ وأسس بصفة رسمية عام ١٦٦٠ حين أصدر الملك شارل الثاني ملك انكلترا مرسوماً ملكياً بإنشائه وأنشئ الجمع الفرنسي قبل ذلك بقليل وأنشئت الجامعات في برلين وفيينا وروما وغيرها من عواصم أوروبا حوالي الوقت نفسه ، ولولا انشاء هذه الهيئات لما وصل العلم الى ما وصل اليه اليوم من تقدم وقوة ، بل انني لا أعالي اذا قلت انه لولا انشاء هذه الجامعات العلمية لما تقدم العلم تقدماً يذكر

\*\*\*

سأنتقل الى ناحية أخرى من نواحي حياتنا العلمية وهي الجامعات . والجامعات أقدم من الجامعات العلمية ، يرجع عصر انشائها في أوروبا كما قدمت الى القرنين الثاني عشر والثالث عشر فهي معاهد تنتهي الى القرون الوسطى وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعصر الحضارة الاسلامية . وقد اعتاد مؤرخو الافرنج ان ينسبوا نشأة الحركة الفكرية في أوروبا ، بعض النسبة ، الى سقوط القسطنطينية وخروج الكتب منها الى انحاء القارة الاوربية ، الا ان المنصفين منهم قد بدأوا يعيدون النظر في هذا الرأي المبني على شيء كثير من التحيز . فالقسطنطينية سقطت عام ١٤٥٣ والاتصال الفكري بين الشرق والغرب سبق هذا التاريخ بأكثر من خمسة قرون فمن الثابت انه في النصف الأول من القرن التاسع أرسل قيصر الروم في القسطنطينية الى الخليفة المأمون في بغداد مجموعة كبيرة من المخطوطات الاغريقية ، فقام العرب بترجمة هذه الكتب ، ثم نقلت هذه التراجم العربية الى اللغة اللاتينية واستخدمت في التدريس في معاهد العلم الاوربية في القرنين العاشر والحادي عشر وما بعدها . وقد انشئت جامعة باريس حوالي عام ١١٦٠ واكسفورد حوالي عام ١١٧٠ وتولوز عام ١٢٣٣ ومونبلييه عام ١٢٨٩ وفيينا عام ١٣٦٤ وهايدلبرج ١٣٨٥ ، وتلا ذلك انشاء جامعات أخرى ، على أن بعض الجامعات الاوربية يرجع تاريخها الى ما قبل ذلك بكثير ، فجامعة ساليرنو بإيطاليا يرجع تاريخها الى القرن التاسع وبولونيا الى اواخر القرن العاشر . أما جامعتنا الأزهرية ، فيرجع تاريخها كما هو معلوم الى اوائل القرن العاشر الميلادي . واللفظ اللاتيني Universitas كان في الأصل يستخدم للدلالة على كل جماعة او هيئة ، فاذا اريد به الجامعة اضيفت اليه عبارة نحو Magistorum et Scholarium للدلالة على معنى العلم والتدريس ، ثم تطور الحال حتى صارت الكلمة تدل بذاتها في أواخر القرن الرابع عشر على الجامعة بالمعنى الذي نفهمه



اليوم . وكانت الجامعات تعرف على انها مدارس عامة Studium generale وكانت مبانيها على نمط يقصد من ورائه حماية الطلبة والاساتذة باجتماعهم في صعيد واحد مع المحافظة على الاغراب منهم الذين كانوا يأتون من بلاد بعيدة لتلقي العلم على النحو المألوف عندنا في الأزهر الشريف وقد استقر أمر الجامعات واستتبّت نظمها في القرون الوسطى ومنحها الملوك والبابوات حمايتهم ورعايتهم وأصدروا المراسيم بإنشائها وتنظيمها . فالجامعات اذن في اوربا ليست وليدة النهضة العلمية ، بل سابقة لها ومؤدية اليها وهي لم تقم على الثورة الفكرية ، بل على شيء آخر ، هو أقرب ما يكون الى الرزاة التي يتصف بها رجال الدين والى الثبات والتؤدة والسير على وتيرة واحدة ، وكانت الروح المتغلبة هي روح التقوى وروح الطاعة وروح النظام ، كما أن نظمها كانت تنطوي على نفس هذه الروح ، فتجعل الاساتذة طبقات ، أو درجات منها الكبير ومنها الصغير وتوجب على ذي الدرجة الصغيرة احترام ذي الدرجة الكبيرة ، فالحاصل على درجة الدكتوراه مميز على غيره يرتدي أردية خاصة حمراء اللون تشبه أردية الاساقفة ويحضر مجالس خاصة لا يحضرها غيره

\*\*\*

هذه الارستقراطية العلمية ما فتئت من أظهر صفات الجامعات وأزعمها لكيانها ، ففي اكسفورد وكبريدج مثلاً نجد روح المحافظة على التقاليد ظاهرة في الحياة الجامعية حتى يومنا هذا . والحاصل على درجة جامعية مميزة على غيره له حقوق ليست لهم وهو يشعر بهذا الامتياز على غيره كما أنهم يشعرون بامتيازهم عليهم وما الأردنية الجامعية الا رمزاً على هذا الامتياز ، والنظام الجامعي الحديث نظام دقيق يجمع اعضاء الجامعة في أسرة واحدة ويجعل على كل واجبات نحو هذه الاسرة ويعاقب من يخرج على النظم الموضوعة أو يثور عليها . والى جانب هذا هناك احترام متبادل بين افراد الاسرة الجامعية صغيرهم وكبيرهم وحرية صحيحة قوامها هذا الاحترام المتبادل وليس لأحد ان يتعرض لحرية غيره في القول أو في العمل ما دام النظام محفوظاً . وحرية القول او حرية الفكر امر مقدس في نظر الجميع كما أن لكل حرية مكفولة في العمل على اقناع غيره برأيه ما دامت وسائل الاقناع متمشية مع النظام الجامعي . وفي معظم البلاد المتحضرة تكفل الدولة هذه الحرية الجامعية وتعمل على صيانتها . فالجامعات الحديثة اذن تجمع بين صفتين متكاملتين : النظام الدقيق والحرية . أقول متكاملتين لانه لاغنى لإحداهما عن الاخرى بل ولا خير في إحداها بغير الاخرى فحيث لا يوجد النظام تكون الحرية فوضى وحيث لا توجد الحرية يكون النظام استعباداً



## ناسكة الصحراء

أيتها الجرداء في بلمقع  
مفردة تنأى بأحزانها  
وعن حديث اللهو من صاحب  
وعن نزاع العيش في عيشة  
وعن سواد الحقد في باطن  
.... عن عالم زور أباطيله  
قفير من النبات والسائر  
عن هجمة النازل والزائر  
وعن فضول النابش الخابر  
متاعها للفاجر الظافر  
مغلف بالنور في الظاهر  
حق، ولكن في يد القاصر

\*\*\*

أيتها الشمطاء في موقف  
أظلم الموت بأطيفه  
يا عجباً من نبات في فم  
واقفة صماء في رقعة  
كانها وحشية ظالها  
خاوية الرأس ولكنها  
مغبرة شعناء مخنية  
كانما تنظر في هوة  
ملتاعة شعث أفنانها  
صوامة الأيام من عفة  
لا تسأل الشمس شعاعاً ، ولا  
لا تطعم الماء على جوعها  
وهو غذاء جائع ملهّب  
كانه مقبرة القابر  
فما خلت من شبح خاطر  
يقضم في الذابل والناضر  
تصم عن نجوى خطى العابر  
مس من الجئان والعاصر  
عامرة بالشعر الثائر  
أمالها ثقل النوى الفافر  
تشيب فيها نظرة الناظر  
زلزال ووع نافض قاهر  
ناسكة في جلدها الضامر  
تسأل عن نوء الحيا الماطر  
غداؤها من رملها الزاخر  
يلتهم الأحياء بالخطاير



فكيف سالت سعار الفلا      يادوحة رملية الحافر  
ناقضت أترابك في نبتة      خضراء ، يا بنت الثرى العافر

\*\*\*

ما عجي منك وما دهشتي !!      اختلط الوارد بالصادر  
نحن - كلانا - غربة صوّرت      تمثال حي ساكن حائر  
محتدم الأشواق مشبوهها      تحت خمود الظاهر الفاتر  
تأخذنا العين ولو غلغلت      ذابت ، وكانت شحمة الصاهر  
نحن - كلانا - أمل مؤمن      بحقه في عالم كافر  
أثبتنا الخلدان في وحشة      تطفأ فيها جرة الناصر  
نحن - كلانا - صرخة حرة      مأسورة في زفرة الزافر  
وكبرياء أليست ذلة      وعودت إطراقة الصاغر  
تختلف الأيام من حولنا      ونحن وقف للردى الجائر  
نحن الأحاديث ، وأرواحنا      معلقة في فم الآثر

\*\*\*

يا أخت ذي النون انشري ظلمة      لمستكن أبدي نائر  
تألفه الآلاف من أنسه      ونفسه في فزع نافر  
وقلبه يزأر في سجنه      مثل زئير الأسد الخادر  
يدب نباضاً بهماته      مثل ديب الوحش في الحاجر  
يا أخت ذي النون اسكني واسمي ،      لا تنكري زجرة الزائر  
إن ضجيج الروح في أسرها      منبهة المأسور للأسر  
استمعي نجواي في عزلة      تخشع فيها شفرة الجازر  
في معبد الروح ومحرابها      تسجد همساً صرخة الزاجر  
يجثو ضرام الشر في نورها      ويزدهي في صمتها الطاهر  
تسمو الأماني بين أرجائها      قد طهرت بالآلم العاصر



# مغزى الصراع

كسب الحرب وتجديد النفوس  
وتهيتها للعصر المقبل

ان هذا الصراع هو الناحية الحربية من ثورة عالمية على الحضارة . وقد تهيأت الثورة ، في ثنايا الانحلال الطارئ على أخلاق الافراد والجماعات ، فسبقت نشوب الحرب وستمضي بعدها ، إن لم تطهر الأمم الينايع التي تمتع منها ، وان لم تجدد النفوس ، بينما هي تثني كل عضل وتشد كل عصب ، لكي تتغلب على الذين انتصوا السلاح في وجه الحضارة . والواقع ان العاملين عمل واحد ، يتعذر فصل احدهما عن الآخر

وما الحضارة ؟ هي مجموعة من القواعد يلتزمها الناس في معاملاتهم ، ومن العهود يحترمونها ، ومن المنشآت والعادات والتقاليد أفرغت فيها تجارب الأمم واختبارها طوال القرون الماضية . وجذورها ممتدة منتشرة ، فيما أخذ الناس أنفسهم به من مبادئ ثقافة ودين وانسانية . والناس يأخذون بهذه المبادئ ليقينهم ، أنها ترعرع الصالح ، وتروض الباطل فلا يستفحل شره . فاذا أقدم الناس على تحطيم القواعد ، واستباحة العادات بدلا من تطويعها لملاءمة الزمن فلمرض ماش في جذور الحضارة وأغصانها وورقها

وما الهمجية ؟ ان عاقبتها واحدة وان كانت طبيعتها مزدوجة . فهي تنتهي دائما الى الايمان بالقوة . انها تتنكر للقواعد المرعية والعادات وتتهمكم بها ، لانه اذا كان السلطان غاية ، واذا كان السلطان يكتسب بتحطيم القواعد والتنكر للعادات والعهود ، فليكونا . وهي للسبب نفسه تهدم المنشآت التي أحاطها القرون بهيبتها . فالهيئة الدينية - كالبسعة والجامع - والأسرة والمدرسة ، لا قيام لها الا اذا كان لها سلطان ما في دائرتها الخاصة ، ولكن الهمجي الذي يسعى الى « السلطان العادي » - كما وصفه برتراند رسل في كتابه السلطان Power - لا يسعه أن يعترف بسلطان آخر غير سلطانه . أي عليه ان يحكم بالارهاب . وليس يقابل الحكم وفقا للقانون ونواميس الاخلاق والاجتماع ، الا حكم الارهاب

\*\*\*

وللهمجية وجهان ، أحدهما يولد في ثنايا الحضارة نفسها ، فينخر فيها كالسوس ، ويوهن



الفضائل والأخلاق ، والآخر يهددها من الخارج بالعنف . ولكنّ الهمجية سواء أهدا كانت أم ذاك ، وسواء أصفه من صفات الشيخوخة كانت ، أم من صفات الفتوة والاندفاع ، فهي في الحالين العدو الدائم للحضارة . وعندما تتراخى قوة الحضارة ، يظهر الهمجي على صفحات التاريخ . ومهما يتنوّع شكاهُ ، فإنه في المقام الأول ، متحفز في قلب الرء ووجدانه ليدفع بصاحبه الى هدم حضارته ، بإيهان إيمانه فيها والوسوسة له بأن الفضائل الاصيلة ، لا مكان لها ولا منزلة

من ثمار كل حضارة صناعة يولدها العلم القائم . ولكن صحة الحضارة لا تقاس دائماً بارتقاء صناعاتها . فما تى الصناعة في العصر الحديث عظيمة . ولكن استعمالها مرهون بأخلاق الافراد والجماعات ، فاما أن تستعمل أداة لصون لباب الحضارة وتوسيع آفاقها وتعميم نعمها ، وإما لهدمها . وقد تبقى الصناعة مزدهرة في حضارة دبّ فيها ديب الفساد . ولكنها لن تزدهر طويلاً . اذ لا بد أن يقوم الهمجي ، عندما يطغى الفساد ، فيستعمل الآلات للفتك بمخترعيها . واذن فلا مفرّ للانسان ، في ظل حكم الارهاب ، من الانحدار في طريق ، اقضى منه التصعيد فيه ، نصّباً وضئاً وقروناً طويلة . ففي ظل حكم من هذا القبيل ، يغدو العلم عقياً ، ويدب في الصناعة نفسها ديب الفناء . فالعقل الانساني ، لا يكون مبدعاً خلاقاً ، إلا اذا كان حرّاً . والهمجي في نفوسنا هو ألد أعدائنا ، وأقوى عدة لخصوم الحضارة عليها فالنضال اذن نضالان . نضال لكسب الحرب ، أي لهزيمة القوى الخارجية التي تهدد الحضارة بالعنف . ونضال لتجديد النفوس وتهيتها للعصر المقبل . ولا خير يجنى من دحر العدو الخارجي ، إلا اذا دحر العدو الداخلي كذلك

\*\*\*

ويخطئ من يظن أن الشعوب ترضى بمعاناة هذه التجارب والحن لأنها ترغب في العودة الى الحالة التي سبقت نشوب الحرب . بل هي راضية بما تعاني وتقاسي في سبيل أمل ، يتيح لها فرصة أخرى لتكتب في تاريخ البشر فصلاً جديداً . وما هذا الأمل ؟ انه الأمل المعقود على أن يتعلم الناس أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم حكماً صالحاً ، وأن يساهموا في نصيب عادل من خيرات الأرض ونتاج العمل . وأن يشتركوا في بناء مساكن أجمل وأصح من مساكنهم الآن ، وأن ينشئوا حدائق وميادين وطرقاً ومعامل ، تسبغ على الحياة في المدن والريف مسحة من الجمال والرضى ، وأن يتقاسموا فرحة المتعة بالحق في المدارس والجامعات ، وأن يعربوا عن آرائهم في الصحف والكتب والاذاعات وغيرها اعراباً أحكم وأبلغ من اعرابهم الآن ، وأن يتاح لهم الاقبال على أعمالهم وعباداتهم ، كل يوم في خشوع وانصاف وسماحة وكرامة



مثل كالمية بعيدة المنال ! وانها كذلك . ولكنها في الواقع لا تمس إلا طرفاً من الأمل البشري الذي يمكن تحقيق بعضه ، اذا كان الناس أحراراً ، ويسعون حقاً ورشداً الى انشاء عالم أصح من العالم الذي هوى ولن يعود . فالحرب ، انما تدور رحاها في سبيل هذا الأمل ، وكل امرئ يستطيع أن يسدي خدمة الى تحقيق يسير من هذا الأمل اذا بدأ في نفسه

وقد قال الفيلسوف برتراند رسل في هذا المعنى : « قد يبدو لك من الغرور أن تظن ان في وسعك اسداء يد عظيمة لتحسين أحوال الناس . ولكن هذا الظن وهم . فعليك أن توقن بأنك قادر على تحسين العالم . ان الاجتماع الخير قوامه أفراد أخيار ، كالكثرة التي تنتخب الرئيس قوامها أصوات الافراد من الناهخين . وفي وسع كل امرئ أن يسدي صنيعاً يثبت شعور اللطف والرضا في بيئته بدلاً من تحريك روح السخط والغضب ، وبتعزيز الميل الى التعقل دون الميل الى الهستريا ، وبنشر السعادة والرخاء بدلاً من البؤس والشقاء . ومجموع هذه الأعمال هو الفارق بين الخير والشر في العالم . فاذا كنت قطباً سياسياً كانت بيئتك واسعة . واذا كنت أحد الناس ، كانت بيئتك محدودة . ففي الحال الأولى تستطيع كثيراً ، وفي الثانية تستطيع قليلاً ، ولكنك على كل حال تستطيع ، ويجب أن تصنع شيئاً ما . فكل والد أو والدة ، ينشئ ولده بحيث يكون أميل إلى التعقل والدمائة ، انما يعمل ما يجب ان يعمل لاصلاح العالم وإقامة أركان السعادة فيه ، وكل من يقاوم النزوع الى التعصب — وهو نزوع يحقق بنا جميعاً — يضع لبنه في بناء مجتمع يستطيع الجماعات المختلفة فيه أن تعيش في مودة متبادلة . قد تقول : ما أقل ما يستطيعه امرؤ واحد ضد شر كبير ! ولكن الشرور الكبيرة مردّها ، الى اجتماع شرور صغيرة . والخير العظيم ينشأ على المنوال نفسه

« وقد نقول ما يستطيعه امرؤ فرد ضد العالم . ولكنك لو كنت شريراً لكان نصيبك من الشر الأكبر يسيراً كذلك . فالخير والشر على السواء ينبعان من أعمال الافراد ، ولا يقتصر ذلك على الافراد المميزين بل يشمل جميع الرجال والنساء الذين تتقوم الجماعات بهم »

واذا كان في الوسع استخراج عبرة أساسية واحدة ، من رزايا الحرب ، وقد دخلت سفنها الرابعة ، فهذه العبرة مؤداها ان السيطرة العاشمة على الشعوب المغلوبة المستبدين بها ، قد وضحت للامم الحرة والمغلوبة على أمرها سواء بسواء ، انها تواجه امتحاناً لقدرتها اولاً ، ولحقها ثانياً ، في أن تعيش حرة . لأن ثمن الحرية ، هو اليقظة الدائمة والكفاح المستمر ، فهي تقضي من أبنائها تحمل التبعات العظيمة الناشئة عن التمتع بمزاياها ، واذن فالبسالة والتضحية والصلابة في ميادين الانتاج والقتال ، يجب ان يساوقها ايمان صادق بقيمة الاستقامة الخلقية وكرامة الفرد البشري



# ضباب ورماد

## قصة رمزية

بقلم : عادل كامل المحامي

لم يكن في الليل نجمٌ واحد وطلع النهار بغير شمس  
هكذا احتجبت شخص من مسرح الطبيعة وراء الستار . وقيل للبشر المتفرج أن ازووا  
في جحوركم فليس الليلة تمثيل ولن يكون عرضٌ في الصباح . ويسألون عن الخبر فتهمس أعلام  
الطبيعة الصغرى من شجر وأنهار :

— لقد اعتكفت أمهاتنا الكبرى في أبراجها العلوية  
ويردد البشر الواجف :

— ما الخبر ؟

فتبتسم الورود الثرثرة ثم تميل على أعوادها متممة :

— إنهن يتدارسن أمراً خطيراً

شاعت في وجه البسيطة نذير الأمر الخطير . ونبض الجوُّ بالهمس والصوت المكتوم .  
فتملك الآدميين فزعٌ خامض انطوى عليه لاشعورهم ثم تسرب إلى أفئدتهم في صورة إحساس  
مملوف : إحساس ترقب شيء يخشونه ولا يدرونه ولكنهم يريدونه

لازمهم هذا الشعور وهم يتمنون زينتهم أمام المرايا . وظل في حاشية وعيهم وهم يشربون  
قهوتهم الساخنة . ثم رافقهم وهم يسعون وراء ما يوصلهم إلى محال أعمالهم . وكانوا لا يزالون  
يدركونه وهم يقرأون صحفهم . ثم رجعوا به إذ آووا إلى بيوتهم يأكلون ويتماوتون

أما هو فلم يغادر حجرته مع قوافل النمل الآدمي بل بقي قابلاً إلى جوار النافذة يرقب  
طلائع هذا الصباح الرمادي . وكان في يده كوب من الشاي أخذ يرتشف منه ثم يطلق أنفاسه  
الساخنة على زجاج النافذة فيكتسي أديمه بضباب فضي . وكأنما خالجه فكرة فأطرق مبتسماً :  
إن نهار هذا اليوم يراه الخلق من خلال زجاج ناضح بالضباب ولكنه ما يلبث أن ينقشع  
فيبين . أما هو فإن نافذة حياته ليس فيها مطل واحد صافي الأديم



الضباب . . . هذه حياته وهذا عنصره . وان كان لقدرة لون ما فهو لون الرماد . الرماد يوم وُلد والرماد الى أن يموت . ان الناس يتألقون جراً ثم يستحيلون تراباً ، أما هو فيعيش في الموت حيث وُلد . انه دودة آدمية لا يحوي جسمها دماً بل قيحاً قيحاً . . . يا للبشاعة ! لشد ما تمنى لو حوت عروقه دماً حاراً قانياً ! لشد ما اشتهى دفء الحياة يسري في أوصاله فيحرك مستنقع نفسه الراكد ! لشد ما زعق وصاح في خلوتها — انني مضطهد مظلوم . لم حقت علي لعنة الضباب والرماد بينما ينعم غيري بسورة الجمر والدم . . .

الضباب والرماد . . .

اما من فرار من ربقة هذين الشيطانين الخليطين ! انه لا يطلب من جلاديه سوى ساعة واحدة يعيشها كبقية الخلق ، يعيشها بقلبه وامعائه ودمه . يعيشها كما يعيش النبات إذ يمتص حياته من الأرض أمه . يعيشها بجذورك كيانه الممتدة في جوف الكون . وبعد ذلك لن يضجره إن مات في الرماد أو عاش فيه لحظة من جمر ودم . . .

\*\*\*

تصرمت ساعات قصيرة من النهار وهو لا يزال على هجوعه يحلم ويرقب . وكان الصباح يزداد دكنة حتى خشي البشر أن تكون الشمس قد أصابها ضرر فتك بها إذ كيف ترضى بهذه العتمة تغزو صباحها وهي شمس ! وكيف تهادن البرودة فتتركها تجمد الأطراف وتميت النبات وهي شمس ! وكيف تحتمل رؤية طرقات المدينة مقفرة موحشة كسراب المقابر وهي شمس ! ليس هذا صبحهم ولا تلك شمسهم . وأحس الناس أن دنيا هذا اليوم غريبة عليهم أجنبية عن ادراكهم حتى صور لهم أنهم يعيشون في كوكب آخر غير الأرض — المريح أو زحل . فكان أن خافوا واكتئبوا

أما هو فقد قهقه في سريره إذ أدرك لتوه أن اليوم يومه والصبح صباحه . انها فرصة العمر قد أتحت له ليحيا في عنصره فها هو ذا الضباب قد تكاثف لينشق منه ابن الضباب وها هي ذي الدنيا الغريبة على البشر قد جاءت تبسط صدرها لربيب الشياطين . لعل الرجاء قد أثمر فاستجاب جلادوه الدعاء

نزل « ابليس الصغير » الى الطريق يضرب في جنباته الخاوية وقلبه يحدثه بأن العالم اليوم ملكه وحده . وكانما هو زعيم سيامي غداة استيلائه على مقاليد الحكم فأصبح وحده الأمر الناهي بين رجاله وأعوانه . وفرح بهذا الخاطر وانبسط فراح يحدث نفسه حديثاً عجباً



— هكذا أنا. انني أشرف الناس جميعاً لأنني أقذعهم سخرية. أنا أكثرهم احتراماً لأنني صعلوك. صعلوك بين الملوك. ملوك صعاليك وصعاليك ملوك. ليس لي دم أزرق ... ها ... ولا أحمر. ان دمي أبيض. انه القيح الملقح ضد كل شعور واحساس. انه دم الآلهة المنزهين عن الغضب والفرح والحب والحزن. ان كل ما ليس آدمي إله ... أو شيطان. فليكن دمي من رحيق الآبالسة فلست مهتئس ما دمت لا أمت إلى البشر بصلة

لشد ما أمقت آدم وأبناء آدم وحواء وبناتها. ولم تكن سعادتي لتكمل لولا انهم يمقتوني كما أمقتهم. ولكن من منابداً الآخر بالكراهة؟ لو انهم ابتدروني ببغضهم فأنا شخص ممقوت يصد السهام بأخرى من نوعها. بينما لا أمتحق ثواباً على كراهي لهم ان لم أكن أمقتهم في حين انني محبوب. محبوب ممن ... منهم؟ من نفسي؟ من الآلهة أم من الشياطين؟ هذا لا ينهم. يكفي أن أكون شخصية محبوبة في ذاتها. ولكن هذا هراء. فأنا شخصية بغیضة لا جدال في ذلك وعليّ أن أبني سعادتي على هذا الأساس. وإلا فأنا ملعون من نفسي بقدر لعنتي منهم

بودلير ... هذا الشيطان الملعون المحبوب. ولكن ما لي وله. انني لا أنهج نهج أحد في الوجود وإلا أصبحت بشراً كبعض أحزاب البشر

فاوست ... انه معتوه. لقد رغب حامداً في الشيطنة وما هو بشيطان. دفع الثمن من دمه وأثبت المعاملة في صك كما يعقد صفقة في سوق مع ان الشيطنة هبة وموهبة. ولذا فاكاد الأجل أن ينصرم ويشرف المسكين على أبواب الأبد حتى يراه يعول وينتجب كالفناء. وكلام كثير عن تأنيب الضمير والتوبة والندم. يا للعار ... كان عليه أن يفخر بنهايته كأي قديس استشهد في سبيل الله. فالحق انه يجب أن يكون للآبالسة قديسين كما للأنبياء

عيب البشر انهم لا يثبتون على حال فتأنيبهم الرهبة في أعقاب الرغبة ويجري الندم في ذبول سعادتهم. أين هو الرجل الثابت الصامد كهرم خوفو؟ ولكنهم أمواج رقيقة مذعورة يقطعها عود من العشب. هؤلاء البشر ...

هذا وغيره وكثير سواه

ما كان أتعسني منذ لحظة حين تمنت ساعة من حجر ودم! الرجل الصمل هو العنيد كالجار، الغبي كالبلغل. هو الذي لا يتمنى غير نفسه. لهذا قدس جدودي الثور وعبدوه

هذا وغيره وكثير سواه

ولكن هل أنا حقاً كما أصور نفسي لنفسي أم أكون في الواقع شخصية أخرى مخالفة؟ هل من أجالسهم وأحادثهم يدركون في هذه الصورة أم تراهم يقولون «ياله من فتي طيب



خجول ! ... وحق نفسي لا قطعن ألسنتهم ولأدقن رؤوسهم بالارض  
ومع ذلك أفان كنت غير نفسي وقابلت نفسي حول مائدة شراب فهل كنت أقول عنها  
مثل ما يقولون ؟ هل يفرض علي الناس شخصية اجتماعية أو اجهم بها وينكرون علي أن أظهر  
بينهم بشخصيتي الفردية دكتور جيكل ومستر هايد ..  
لا كان الناس ولا كانت آراؤهم النعسة . انهم إن قالوا عني هذا القول فانما يقولونه  
ليستروا خوفهم مني ورهبتهم اياي وهذا جهد ضائع . فما أنا معني بخوفهم أو مشتاق  
لرضائهم أو شاعر بوجودهم . اني وحدي من صنع نفسي  
ولسكن ...

ما لتلك الخواطر تزحم رأسي فنضني نفسي في يوم عرسي  
أ يكون هذا شعراً ؟ ما علينا . لأمض في بطن دنياي أحادثها فليس اليوم وقت الناجاة  
أوصلته هذه التأملات الى خارج المدينة فما ان أفاق منها حتى وجد نفسه وسط حقول  
مغطى عليها من فرط البرد وقد أقفرت شعابها من كل داب وخلت أجواؤها من كل طائر .  
التي يبصره على تلك المروج المذعورة فبدت له في اطار الصباح الرمادي كبعض أحلام المنام  
التي تتنابه في مطلع الفجر . لم يكن في الصورة المنشورة امامه مشهد واحد حقيقي  
واستهوته هذه الفتنة الجديدة فضى وسط الحقول متخيلاً أنه صاحب هذا الفضاء بأسره .  
وراقته فكرة ان يكون غنياً غني طائلاً فابتسم ثم قهقه في صوت مكتوم . ان يكون صاحب  
ملايين ... انه يستطيع حينئذ ان يكره البشر بكل ما أوتي من قوة وان يظهر هذه  
الكرهية بشتى ما يحلو له من وسائل . يستطيع مثلاً ان يشتري قانون الحكم وان يبتاع ذم  
اولي الأمر . فاذا ما أمن جانب الدولة وانزاح عن عاتقه خطر السجن سهل عليه بعدئذ ان  
ينال الناس في أعز ما يقدسونه وأن يسخر علناً بكل ما يضعونه موضع الاحترام وان  
يسفه كل رأي يربط به القوم أمانيهم . له حينئذ ان يحقر ويلطخ كل معانيهم كالوطن . والحرية .  
والمساواة . والعدالة . بل والدين نفسه — دون ان يخشى عقاباً أو يابه بأراء الرعاع

ويصبح في مقدوره ان يتفنن في هذه الاساليب وان يجعل منها نظماً قائمة على مؤسسات  
ثابتة تكون عنوان مسببة دائمة في جبين الناس وهم لا يدرون . فهو يستطيع عن  
طريق ملايين ان يجعل من سائس اصطبلاته زعيم حزب سياسي لا يلبث ان يشتري له  
الاعوان ، ويجمع من حوله الانصار ، ثم يحلي اصابعه بالجواهر ويرشق في سترته الازهار ،  
ويطلقه من بعد ذلك يخطب في قطعان الناس ، فما ان يهل عليهم ببلايته المجسدة وغبائه البشع  
حتى يضجون بالهتاف والتصفيق وينتهون بحمله على الاعناق . وتصبح لغة الاصطبلات التي



تحدثهم بها لغة السياسة المثلى وعنوان البراهة ورمز البلاغة  
 فإذا استطاع بعد ذلك ان يوصله الى كرسي الحكم . . . ما أعظمها سخيرية ! ولم تكون  
 الطعنة نجلاء والمسبة فاحشة حين يخلعه بعد ذلك من منصبه ويعيده الى وظيفته الاولى فيعلم  
 قطيع الخراف الآدمية ان حاكمهم الذي أشادوا بعقريته لم يكن سوى سائس في اصطبل  
 ألهته هذه السوانح الشيطانية حيناً من الزمن فما ان أفاق منها حتى وجد نفسه ينتفض  
 من فرط البرد . فقد كانت برودة الجو تنفذ في الجسم كابر من جليد والريح تهب مثلوجة  
 كأنها أنفاس الأبالسة . وكان صاحبنا قد غادر حجرته برأس عار وعلى منكبيه ردائة خفيف ما  
 لبث أن تأمر مع الجو فاستضاف برودته

نظر الى يديه المقرورتين برهة وهو يبتسم . كانتا ناصعتي البياض لا يشوبهما سوى  
 صفرة خفيفة في مسابة اليد اليمنى من أثر التبغ . وراقه ما لاحظته من نعومتها ورقة أديمها  
 حتى كأنهما أكف العذارى الخود لا يفارقن مخادعهن ولا تلمس اصابعهن غير الخمل والحريز  
 وقد بلغ من فرط رقتها ان كادت البشرة تشف مما تحتها من عظام وشرابين . لشد ما أعجبه  
 هذا ! ان يده ليست يد رجل . . .

غير ان البرد القاسي عاد يعكر عليه صفو راحته . فعمد الى حائط متهدم ليحتمي في جوفه  
 ولكنه وجد ان القرّ قد سبقه اليه . وحقاً شعر بأن نفسه قد تملخلت وباتت بغير أساس .  
 وبأن صدره أصبح فارغاً خرباً موحشاً . وكان كلما لفحه الريح بأكفه الميتة ازداد شعوره  
 بوحدته وبقلّة حيلته

أجل ها هي الريح تصرخ في وجهه بأنه وحيدٌ وحيدٌ . لا صاحب له ولا قرين . يقيناً انه  
 ولد من ابوين وكان لهذين الابوين أقارب وأنساباً وأصدقاء ف أين ذهب هؤلاء جميعاً اذ بات ثم  
 أصبح فإذا به في عالم لا يعرف من مخلوقاته أحداً ألم يكن يعنيه أمر هذه الوحدة وهو قابع في  
 حجرته ولكنه وسط هذا البرد اللئيم شعر بحاجته الى الدفء فتأقت نفسه الى الجموع يستتر ويكش  
 اذن فما أنعس الانسان ! انه تافه هفاف يصطنع مشاعره من درجة الحرارة ومن لون  
 الرئيات ومن طعام كثير الفلفل . فهو يحب ويكره ويحسد ويشور ، ويعضب ويفتقم ،  
 ويرضى ويفرح ، لأنه لمح قشرة موز ملقاة في عرض الطريق ، اورأى القميص الداخلي  
 لامرأة سائرة أمامه متدلياً من تحت ردائها الخارجي ، أو لأنه سمع بالعاء ينادي على بضاعته  
 بنغمة شاذة . أن تكون مشاعر الآدميين من التفاهة والرقّة بحيث تستثيرها هذه النكرات  
 الحسية ! وهل منع الانسان حقاً من أن يشعر شعوراً أصيلاً ثابتاً لا يحركه سوى الأمر  
 الخطير والمعنى الجسيم !



اذن ما باله قد ترك شيطنته وأنكر اعتزازه بوحده وراح يسعى وراء الجموع متمنياً وجود القرناء لمجرد احساسه بريح باردة تلفح وجهه !

ومع ذلك فان هذه العلل العقلية جميعها لم تنجح في تحويل شعوره الى الوجهة التي اراد. وما لبث ان أحس بأن حاجته الى الدفء قد تدرجت الى نوع من الحنين الملح الى شيء مجهول لا يستطيع ادراكه . شعر بأنه يريد ان يحتضن الى صدره شيئاً ما وان يطبق عليه بذراعيه فيعتصره . كأن في أحشائه قطباً مغناطيسياً يتلف الى الاكتمال بقطب معاكس او كأنما هو جائع الى شيء فيريد ان ينطلق في بسط الأرض باحثاً عن الشبع عجباً ! أيكون « ابليس الصغير » متعطشاً الى حب امرأة !

انه يذكر ان هذا الشعور بالجوع العاطفي كثيراً ما انتابه وهو لا يزال طالباً في الجامعة تلك الابنية المهمة الانيقة التي لا تحمل من معاني اسمها سوى انها مكان معد للاجتماع نفر متفرق في صعيد واحد . كان يخرج منفرداً ليجوس في الحدائق المحيطة بها فيخطر في طرقاتها المورقة وتقع عيناه على النبات الأخضر وعلى الماء الراكد السجين ، ويطرق اذنيه صوت الدوح تسامر جاراتها ، وشدو الطيور تسمع أهل الأرض أنغام السماء . وحين تتعب قدماه وتسام نفسه كان يأوي الى مقعد مهجور في ركن ظليل فيجلس ويطرق . وما من مرة طال به المقام في هذه العزلة الصامتة الا وتنبه من أحلامه الحزينة على احساسه بدمعه الساخن يتساقط على كفيه

كان يبكي من غير وعي . إلا أن وعيه الداخلي كان يدأب على إشعاره في كل بادرة تسنح له بأنه وحيد وأنه محروم . كان يحس بأن نفسه تكاد تتشقق من شدة الجفاف وان فؤاده يصرخ مطالباً بالعطف والحنان اللذين لا يستطيع العيش بدونهما

ويذكر أن في ذلك الوقت كان اذا ذهب الى مسرح أو سينما لم يكن يعني بجل ما يعرض عليه من مشاعر مصورة . غير أن ثمة نوعاً واحداً من المشاهد لم يفشل مرة في استثارته وتحريك لواعجه . فكان يكفيه أن يرى أمماً تمر بيدها على جبين ابنها المحموم ، أو أختاً تستقبل في أحضانها أخيها العائد من سفر طويل ، أو فتاة تحمي عشيقتها بجسمها لتدفع عنه خطراً ما . حتى يشعر بأن قلبه يعتصر عصراً

بل ان كثيراً من مشاهد الحياة العادية ككاتب يقبل مبصصاً بذنبه لتحية صاحبه ، أو زوج يساعد زوجته على الصعود في الترام ، أو بائع جرائد يصلح من هندام زميل له ، أو عابر يأخذ بيد أعمى ليوصله الى الجانب الآخر من الطريق ، أو بائع فقير يجود بشيء من بضاعته على شحاذ ، أو أم ترقب طفلها وهو يلعب وسط الروج . . . كان أي واحد من



هذه المشاهد كفيلاً بأن يغمر عينيه بالدمع ويجعل شفثيه ترتجفان . ثم لا يلبث أن يعرض على نواجذه ويمضي في طريقه كسيفاً وقد عصفت به مشاعره المضطربة

وكان يحيل إليه ألاّ نجاة له بغير الحب . فالحب على حسب ما كان يرى هو المظهر والمصدر لما يحتاج اليه القى من حنان عاطفي

وأخيراً أحب . ثم قبع في وكره ينتظر الثمار . فكان بعد ذلك ما لا يود أن تمر مجرد ذكره بباله . وإذا به في ذات يوم يهجم على حبه فيخنقه ثم يحطم تمثال من أحب

وقال : لا كن هذا القى الصلب العود المصفح القلب الذي يأنف من أن يبذل أنبل مشاعره في الهوس والسخافات . وكان يحلو له أن يردد قول الاعرابي « ما بال الرجل منك يموت في هوى امرأة ! إنما ذلك لضعف فيكم يا بني عذرة »

وأحاط نفسه بالسياج فأصبح في عصمة أنوفة منيعة وبدأ يشعر بجبروت الآلهة

فما باله اليوم اذن يعود الى وساوس ايفاع الشبان !

ازداد شعوره بالبرد فغادر مكانه وانثنى صوب المدينة . وكان كلما خطا خطوة آلمته قدماء وكأما يسير على قتاد مرهف . وبعد ان سار شوطاً مضيقاً وقف تحت خيمة وارفة وهو مقرور . ووقع بصره على قرية بعيدة يتصاعد من أكوأها الدخان فاشتاق النار . وكانت القرية مضمومة على منازل متقاربة تتوسطها قبة بيضاء لجامع أو لمدفن أحد الأولياء . ولم يكن بجوار القبة مئذنة . وفي أنحاء متفرقة من هذا المشهد قامت أشجار الجيز الفرعوني العجوز فبدت كشحاذين مكفوفين يدبون على عصي . وظهرت في الافق البعيد قلعة القاهرة الشاخنة تشرف على المدينة فتدفع كل منظر فيها بطابعه القاهري . وكان الضباب يغلف هذا المشهد بأسره فيبدو كصورة خيالية من تلك الصور التي تصنع خصيصاً للسائحين الاجانب فيبتاعونها كتذكارات مثل للطابع القاهري

غادر مكانه من جديد واستأنف السير حثيثاً حتى وصل الى المدينة . وكانت الطرقات لا تزال مقفرة من السابلة والعربات تجري مذعورة بين حين وآخر كما تما تفر من عدو مطارد وكان السكون مخمياً في كل مكان حتى خيل اليه أنه يهبط مدينة قد اكتسحها الغزاة فسلموا متاجرها وفتكوا بأهلها

شاهد مطعماً في طريقه . وشعر بأنه جائع فدخله وبدأ يأكل ما طلب من طعام . غير انه لم يتناول سوى لقيات حتى أحس بأنه قد فقد شهيته تماماً فأهسك عن الأكل وأشعل لفافة أخذ يشق دخانها بنهم

ولجأة وقعت عيناه على فتاة في الجانب الآخر من الطريق تقف أمام فائدة مكتبة . فتاة



متوسطة القامة هيفاء القد ، ترتدي السواد ولها شعر في لون الذهب . لم تكن هذه اول فتاة صادفها في يومه . فقد مرت أمامه كثيرات غيرها راهنَّ يهرولنَ مطرقات كأنما قد مات أزواجهنَّ وأخواتهنَّ ثم لا يلبثنَ ان يتلاشينَ في الضباب . ومع ذلك فقد وجد نفسه — ولسبب مجهول — يغادر مائدته ويدفع حسابه ثم يخرج الى الطريق . لعل ما أثار اهتمامه بهذه الفتاة هو أنها لم تكن مذعورة وجلّى كسائر الخلق في هذا الحرب بل وقفت منتصبه في مهابة وهدوء تتصفح في امعان وتركيز الكتب المعروضة في واجهة المكتبة

وقف برهة يتأملها من جانب الطريق الآخر . . وخيّل اليه أنها شاعرة بوجوده اذ لم تلبث حيناً حتى حانت منها التفاته لم تستغرق ثواني خاطفة . وهبط على الفتى ترددٌ وخشية فهم بالرجوع الى المطعم ولكنه وجد الفتاة تدخل المكتبة فعبّر الطريق للتوّ ولحق بها . ولما دخل المكتبة جعل يحدق فيها عن بعد فرأى عينيّن زرقاوين . وشفين ورديتين . وبشرة في لون الخنطة . وفيما عدا ذلك كان وجهها مغلقاً صامتاً لا تبين قسماته عن عاطفة او معنى . ثم تكلمت فسمع صوتاً كترجيع الريح وسط الغابات المنعزلة في قلل الجبال . كانت تسأل عن ديوان لشاعر مات في شرح شبابه فعرف الناس بعد موته انه لم يكن بشراً مثلهم بل روحاً علوية هبطت عليهم من السماء . وبدا على الكتيبي المنكسر في دناره انه لم يسمع باسم هذا الشاعر من قبل . فهزّ رأسه واعتذر عن عدم وجود هذا الكتاب لديه

غير ان الفتاة لظمت مكانها فلم تتحرك وصمتت برهة ثم قالت في اشارة وسيطرة بأنها مستوئقة من وجود هذا الكتاب الذي تطلبه لديه وتضايق الكتيبي من لهجة الفتاة فأجاب في حدة خفيفة بأنه أعرف الناس ببضاعته وها هي الكتب معروضة امامها فلتبحث فيها كما تشاء وكان هو في هذه الاثناء قد اقترب حتى أصبح يواجه الفتاة . فلما سمعها تعبر عن امتيائها من وجود الكتاب امتلاً قلبه دهشة . فقد كان هو الآخر يعرف ان الكتاب موجود كما كان يعرف موضعه من المكتبة . ولكن هذا شيء آخر . فهو يعرف مواضع جميع الكتب في معظم مكاتب المدينة لأنه يعيش معظم حياته في حناياها . أما الفتاة فكيف تأتي لها هذه المعرفة وهو لم يشاهدها في سوق الكتب من قبل ثم انها لم ترَ الكتاب ولم تعرف موضعه ا

وفي حركة هادئة رفع الفتى يده فاستخرج الديوان من وسط الكتب وقدّمه اليها بغير لفظ . ولكنها لم تتناوله منه الا بعد ان ظلت يده مبسوطة به بعض الوقت . فلما أصبح في كفيها ألقت عليه نظرة ثم رفعت للفتى وجهها الصامت وتحركت شفاتها بلفظ فرد

— اشكرك

أما هو فلم يجب . بل ظل يحدها بعينين مدهوشتين كأنما يشاهد رؤيا من عالم آخر



ومع ذلك فلم يبدُ على الفتاة انهما تضيق بنظراته . ولكنها ايضاً لم تبتسم له بل قالت بعد برهة :

— لم تحملق فيّ؟

ولكن الفتى ظلَّ على صمته حيناً طويلاً وأخيراً تكلم من غير ان يحول بصره عنها :

— آه لو أن شعرك أسود ...

— ان ردائي أسود

وبعد برهة صمت استطردت قائلة :

— أرى انك تهتم بالألوان

— بل بما توحى به من معاني . ان السواد هو العنصر الذي أعيش فيه

— السواد ...

— أكان من الممكن ان تكونين زنجية ؟

— ان عيني زرقاوان

— انهما جميلتان

ولكنهما لا ترضيانك ؟

— لا أدري

ثم قال مقطباً :

— مَنْ أَنْتِ !

— أنا ...

وصمتت برهة ثم أجابت

— انني أحبُّ قراءة شعر الملائكة

\* \* \*

خرج معها الى الطريق وسار بجوارها وهو مقطب . وبعد برهة سمعها تقول له :

— لم تتبعني ؟

التفت اليها وقد ازداد وجهه عبوساً ثم خاطبها في شيء من الحدة :

— لست أتبعك بل أسير الى جوارك . ان كلينا مدفوع بيد واحدة وهو ما يضايقي

فبدا على شفتي الفتاة طيف ابتسامة غامضة :

— حقاً !

ووجد الفتى نفسه يصرخ لغير سبب :

— أجل وكأني موشكٌ على الاستغاثة بالشرطي لينعك مني



— ولكنك تركت مكانك ولحقت بي !

— اذن فقد رأيتني حين كنت في المطعم !

لم تجب الفتاة فساد الصمت بينهما . وعلى حين غرة توقف الفتى عن السير وقبض على ذراع الفتاة بأصابع عصبية وأخذ يحدها بنظر من نار . اما هي فلم يبد عليها أثر ما لهذه المفاجأة بل نظرت اليه في هدوء وهو يقول :

— أ كنت تتوقعين رؤيتي اليوم ؟ اعترفي

ولكنها رفعت عينها الى السماء ولوحت بيدها في الفضاء :

— اليوم ضباب ، انظر ، ما أشدّ النفاثه حولنا

واستأنفا السير فعاد الى اطرافه وهو كظيم . أدرك لتوه ان هذه الفتاة الغامضة تقبض

عليه بيد من حديد وانها تستطيع معه ما تشاء

لقد هبطت عليه من الضباب . ومع ذلك شعرت بأنها ليست من عنصره ، فهو لا يستطيع ان يسيطر عليها كما يسيطر على مخلوقات مملكة الظلمات التي يعيش فيها . فهو وسط الالاسة حاكم وأمير . وفي حنايا الجحور المستورة يتأتى له ان يأمر فلا يرد له أمر . ثم انه يقدر على التحكم في معظم النفوس البشرية ان استطاع ان يدلف اليها من المسارب التي تلامه مسارب — الدود الأملس والحيات السود حيث لا حكم للقوة السوقية ولا للعنف القبيح بل يطلق المجال للحياة المتتوية والعقل النافذ والايهام البارع . ولكنه لا يجد مع هذه الفتاة ثغرة ينساب اليها منها آه لو كانت سوداء الشعر ولم تكن عيناها زرقاوين ...

ومع ذلك فقد أحسّ بلذة غريبة في سيطرتها عليه وعبوديته لها . وتأمل هذا الشعور الجديد الذي يملأ صدره فأحب لو استطاع دوامه بعض الحين ليتمكن من وضعه تحت مجهره فيجري عليه تجاربه . وحدث نفسه بأن لا خطر عليه من هذه العاطفة النامية ما دام هو لا يوحد ما بينها وبين نفسه او يلقي بكيانه في خضمها . فهو على يقين من قدرته على ابقاء رأسه فوق سطح الماء . وما دام الأمر كذلك فهو يستطيع ان ينتشل نفسه متى شاء . فهذه القدرة على تجنب نفسه من كل قيد وكفالة الحرية التامة لها في الفكر والعمل هي أئمن ما استطاع انتزاعه من كبد هذه الدنيا البغيضة . وهو في سبيل محافظته على هذه الامارة الروحية قد قطع صلاته بكل الناس ونفض عن قلبه قيد كل عقيدة ودين

حينئذ أحسّ بأنه يمسك الكون في كفيه وبأنه في عصمته المعنوية هذه أقوى بكثير من كل طاغية او امبراطور . اذ لا شيء على الأرض يستطيع ان يعتدي على شبر من آفاقه الممتدة الى ما وراء النجوم . ولا شعب يهدده بالقيام في وجهه ولا ثورة تقدر ان تسقطه



عن عرشه . في حين ان الحكام عبيد لارادة المحكومين وعبيد لنفوسهم المشبعة بأغراض  
عمياء تقودهم من أنوفهم الى هنا وهناك  
التفت الى الفتاة وقال :

— أترضين بمصادقتي ؟

— لم ؟

— لأنني أريد ان أحبك

أطلقت الفتاة ضحكة من مقطع واحد وقالت :

— أنت فتى طيب القلب

أثارت هذه الاجابة ثورته فصاح :

— لماذا تراوغين ؟

— لست أراوغ

— بل أنت ككل النساء . هل المرأة لا تستطيع الا ان تكون قطرة من زئبق تتخذ

كل شكل ولا شكل لها . وتسعى الى كل غرض من غير ان يكون لها غرض ! لماذا لا تكونين  
قطعة من الحديد الصلب ؟

— ماذا تريد

— ان نتحاب

— أنت لا تستطيع الحب

— انني اذا أردت الحب فلا شيء في العالم يمنع من قدرتي عليه

— ولكن الحب ليس ارادة بل هو على العكس من ذلك تماماً . فهل أنت مستعد ؟

نظر الفتى الى وجهها الباهت العذب فأحس بالحنان يتفجر من صدره وودَّ لو حوى هذا

الوجه في يديه وغمره بالقبل

— أجل

صمتت الفتاة برهة طويلة وهي سائرة الى جواره . ثم التفتت اليه مبتسمة وقالت :

— هل أنت مستعد لأن تنجب مني أطفالاً ؟

توقف الفتى عن السير فجأة وصرخ مدعوراً

— لا لا . إلا هذا

ضحكت الفتاة وضربت بكفها على كفه قائلة :

— أرايت ...



— لا . انني لا أحب الحياة فكيف تطلبين مني ان أعاونها على الاستمرار والبقاء  
 — ولكن أنا هي الحياة أيها الفتى الطيب . فان رغبت في فعليك ان تحب الحياة اولاً  
 واصل الفتى سيره الى جوارها وهو مغيب . فيها هي الفتاة تكرر دعوته « بالفتى الطيب  
 القلب » — هذا التعبير البغيض الذي خشي منذ لحظات ان يكون المجتمع قد أطلقه عليه .  
 وبعد برهة رفع رأسه وقال :  
 — هل تتعهدين بأن تبقي الى جوارى دائماً فاستطيع أن أضغط على لحم ذراعك  
 كلما أردت ؟

— انني بجوارك ما دمت تؤمن بأن الحب ليس ارادة وبأن الحياة طاعة وخضوع . ثم ...  
 — ثم ماذا ؟  
 — لا بد أن تنجب مني أطفالاً  
 وجهم الفتى . ولكن وجوهه لم يستغرق سوى برهة قصيرة انطلق بعدها يقول :  
 — سأفعل كل ما تطلبين . ان عبوديتك تلذ لي وأشعر بأن أحب الأشياء التي هو ان  
 أطيع أمراً لك . انني اعبدك . أتفهمين ؟  
 وأمسك بكفها يقبلها

شعر بسعادة غامرة لم تعرفها حياته من قبل . وودّ لو اختلى بالفتاة ليبيكي بين يديها  
 بدمع غزير ثم يحذّثها عن كل ماضيه . أراد ان يبثها لواعجه وان يطلعها على أشجانه التي  
 تصنيه ثم يسألها الصنح عما سلف ويطلب منها الارشاد والعون على المستقبل  
 لقد طلبت منه ان يخضع للحياة وان يتنازل عن إرادته . آه لو درت بأنه الآن مستعد  
 لان يكون أميراً لها وعبداً لأهوائها . . . أن يكون خادمها وكلها وموطى قدميها . . . فان  
 مرت بأناملها الناعمة بعد ذلك على جبهته ، او نادته باسمه اوضحكت في وجهه فقد نال كل شيء  
 أجل . ان عبوديته لها أجل من حرية نفسه اضعافاً . كل شيء يهون ويتضاءل ما دام  
 جسدها الحار الى جواره

\*\*\*

أمضى مع الفتاة بقية النهار في حان فلما ان جنّ الليل وجد نفسه يسير معها في دروب  
 مظلمة . وكان طوال هذه الفترة يحذب عليها ويدللها كما لو انها طفل صغير ناعم . وتمنى لو  
 استطاع ان يحمل عنها عبء التنفس والكلام والحركة حتى يجنب مخلوقته الثمينة كل عناء او  
 طيف عناء . فكان يحضر اليها كل ما تطلب ويعد لها ما تشاء من مأكل ومشرب . وصارت  
 أعظم أمنية له ان يراها راضية قانعة في ركنها الدافئ حيث يغمرها بنظراته الملهونة . وهو



في كل هذا يدأب على تماسها والضغط على يدها حتى يطمئن الى بقائها بجواره  
ولاول مرة في حياته أدرك معاني التقديس والعبادة والصلاة  
كان الجو لا يزال فاتك البرودة شديد العتمة والريح تصفر في الطرقات كذئاب جائعة .  
ولقد خيّل اليه أول أن خرج من الحان ان هذه العناصر الصديقة تحب عليه هجره إياها  
وانشاققه عليها ولكنه أشاح بوجهه وهز كتفيه . ما له الآن ولها ؟

ولكن طال سيره مع الفتاة في جوف الليل فكان لا يرى وجهها كما امتنع عليه الضغط  
على لحم ذراعها الحار الذي أصبح مستوراً في معطف كثيف . وكأما البرد واحتجاب الفتاة  
عنه قد تآمرا على النفوذ الى عاطفته الوليدة فلما لبث أن غلبها في إطار من الضباب . ولم يعد  
الفتى يشعر بالأثر البالغ الذي كان لفتاته عليه منذ لحظات بل أصبح ينصت في وجل الى زججرة  
الريح الغاضبة فبدت له كوعيد طاغية مستبد يهدده بالويل والثبور  
أحاط الفتى خصر فتاته بذراعه وضغط عليه متمماً

— لا . لن يأخذوك مني سأقاومهم الى النهاية  
ولكن الريح اشتدت وأخذت تلفح وجهه بسنان كالإبر . فأدرك الفتى أن صحبته القديمة  
قد بدأت العمل . وسرعان ما شاهد الضباب يهبط من جديد على المدينة ليلف معالمها ويحيل  
مشاهدها الى أحلام مخيفة كخرافات الاساطير

سحب الفتى ذراعه الذي كان يلف به صاحبه وابتسم في حسرة  
— لا بأس أيها الرفاق . أتركوها لي حقبة وأنا أعاهدكم بأنني لن أنجب منها أطفالاً  
أما الريح فلم تهدأ . وأخذ الضباب يثقل ويتكاثف . حتى هذه الترضية لم تخفف من  
حدة عشيرته الباغية

— لماذا أنتم غضابي ! أتركوني برهة وثقوا بأنني سأنجح في ضم من تدعي انها الحياة  
الى زمركم يا أهل الظلام  
التفتت اليه الفتاة تسأله :

— فيما تفكر  
لم يجب الفتى أول الأمر . ثم انطلق يضحك ضحكاً مكتوماً لم تنفجر عنه شفتاه وقال  
— أفكر في رجل له ذنب وفي رأسه قرنان

نظرت اليه الفتاة في لهفة فخيّل اليه انه قد نجح في إخافتها . ولاول مرة في هذا اليوم  
أحس بيدها تمسك بذراعه وتضغط عليها . لقد كان هو الذي يبدأها دائماً بالمخاصرة والعناق  
فاذا دفع الفتاة الساعية لأن تكون البائدة ! أتراها قاربت منزلها فهي تحييه من قبل أن



تفارقة؟ أم لعلها شعرت بما يدور في رأسه من أفكار فهي تحاول أن تشد عضده ليقوى على مكافحة غرمائه؟

انها ان همت الآن بفراقه فعليه ان يتمالك نفسه فلا يظهر حسرة أو حزناً بل يسألها في عدم مبالاة عن موعد لقاها المقبل ثم يصاحفها وينطلق وسمع الريح تهمس في أذنيه وتقول :  
— بل فلتعطها نقوداً فهذا أوقع

\*\*\*

كانا يسيران على افرز ضيق والفتاة تتمتم بلحن خافت حزين . وصادفهما حائط أبيض ممدود في جوف الليل كصراط يوم القيامة . وهم القى بسحب فتاته الى ناحية الحائط الخارجية ولكنه وجدها تلزم ناحيته الأخرى فخطا ليلحق بها . ثم خطر له أن لا يتبعها . لم يتبعها ؟ فليمض كل منهما من أحد جانبي الحائط الذي ان فصلهما برهة فليسوف يلتقيان في نهايته . ولكنه لم يكذب يخطو خطوة في الجانب الآخر حتى هبط عليه شعور غامض قابض فعزم على أن يعود فيلحق بصاحبه . ولكنه لم يفعل . بل واصل مسيره فما أن بلغ منتصف الحائط حتى سمع همساً يملأ مسامعه

— انك لم تتبعها . ها أنت حرٌّ من جديد فهنيئاً لك بسيادتك المستعادة أنت حرٌّ .  
حر . حر . . .

ووجد نفسه يقهقه قهقهة شيطانية ويقول :

— أجل . لم تعد الفتاة معبودتي والهي . ما هي إلا حشرة مسكينة مأجوري عليها تجاربي بينما أوهما بأني مشغوف بحبها . ها ! ها ! ها !  
وخفاة شعر بأن قلبه يهبط ويهبط الى غير قرار . وأحس بالدمع يسيل ساخناً من عينيه والغصّة تملأ حلقه فصرخ قائلاً :

— رحماك أيتها النفس العائية ! اتركيني أعيش . . .

وأسرع الى نهاية الحائط وجل بعينه باحثاً عن الفتاة فلم يجدها . . .  
لم يحاول البحث عنها . بل سار في طريقه مطرقاً وهو موقن بأنه قد فقدتها الى الأبد وفي هذا الحين دوى الفضاء بصوت الرعد القاصف وومض البرق في عرض السماء . ثم بدأ المطر ينهمر

وتلاشى شبح القى في جوف الظلمات من جديد



# نيوتن

امير العلم

لقدري حافظ طوقان

لا أظن ان أحداً يجمل ما لاسحق نيوتن من منزلة عالية وأثر فعال في تقدم العلوم الرياضية والطبيعية . ولولاه لما خطا حساب التكامل والتفاضل خطوات فاصلة ، ولما كان في وسع العلماء تسخير هذا العلم في الاختراع والاكتشاف ، واليه يرجع الفضل في افراغ الجاذبية في قوانينها ومعادلاتها وفي كشف نظريات متعددة تتعلق بالضوء والانكسار والانعكاس ولقد اعترف العلماء بنبوغ نيوتن وأشادوا بذكر عبقريته ، فقال فولتير : « ... لو اجتمع جميع نوابغ العلماء لكان نيوتن في المقدمة ... » وقال لابلاس : « ... ان لكتاب المبادئ الذي وضعه نيوتن مقاماً فوق كل ما أنتج العقل البشري ... » وقال لاغرانج عن هذا الكتاب : « ... انه اعظم ما أنتج العقل البشري ... » وقال ليبنتز وهو من معاصري نيوتن وأحد كبار العلماء حينما سألته ملكة بروسيا عن رأيه في نيوتن « ... لو جمعت كل ما كشفه علماء الرياضة منذ فجر التاريخ الى الآن لوجدت ان ما كشفه نيوتن هو النصف الأهم منه ... » وقال بلايغير : « ... لقد أضاف نيوتن الى مستنبطاته البديعة في الرياضيات أهم المكتشفات الطبيعية ، وقد لبست علوم الهيئة والبصريات والميكانيكا من حلل التجدد والتقدم أنواباً قشينة ... ما من رجل عمل على ترقية المعارف كما عمل نيوتن . انه لم يكتف بكشف الحقائق الجديدة ونشرها ، بل علّم الناس أسلوباً جديداً للبحث عنها ... » وقال السير أوليفر لودج : « انه نخر علماء الانكليز ... » وقال طمسن : « ... ان مباحث نيوتن في الطبيعيات كافية لأن تجعله في مصاف أعظم العلماء ... » وقال جينز الفلكي المشهور : « ... انه أعظم رجال العلم على الاطلاق ... »

هذه اعترافات بعض رجال العلم من معاصريه ، ومن الذين أتوا بعده ومن الذين لا يزالون على قيد الحياة ، وهي تدل على المكانة العظيمة التي بلغها نيوتن بين خول علماء الطبيعيات والرياضيات وعلى الرغم من مكتشفاته المتعددة ، ومن النظريات الرياضية التي ابتدعها والنواميس



الميكانيكية التي كشفها ، فقد كان يعدُّ نفسه على عتبة اليقظة العقلية ، وانه « ... لا يزال طفلاً واقفاً على الشاطئ » يكشف من حين الى آخر صدفه براقه أو حجراً صقيلاً ، وأمامه بحر المعرفة الزاخر لا يزال مجهولاً ... » . كان ذا روح علمي صحيح ، سيطر عليه في أعماله وسيرته ، وكان مثلاً عالياً للعلماء ، وقدوة حسنة للفكرين

وقد يظن بعضهم ان عالماً كنيوتن لا بد ان يكون ملجداً لا يؤمن بالله ، ولا يعتقد في وجود قوة خالقة منظمة ، وان مرد ذلك الى اشتغاله بالفلسفة الطبيعية ، وجولاته في ميادينها وغوصه في بحوثها ومعادلاتها وأرقامها ... والحقيقة خلاف ذلك ، فقد كان لاهوتياً يؤمن بالله ، ويحمل على جميع الذين ينكرونه ، وكان يدعو الى تمجيده وعبادته

وفي رأيي ان الانسان اذا ازداد تعمقاً في العلوم ، ووقف أعلى اسرار الكون ازداد إيماناً بالله ، وتجلت له عظمته بصورة لا يحيطها شك أو إبهام ، فالعلم الصحيح من شأنه ان يوضح روائع الوجود في النواميس المسيطرة على اجزائه وان يكشف عن القوانين التي تسيرها مما يدفع العالم الى الايمان بالله ، وادراك قدرته والشعور بواجب عبادته ، والعمل بأوامره

وعلى هذا فليس غريباً ان نرى نيوتن متديناً ، وهو الذي كشف ناحية من نواحي عظمته في الجاذبية التي تسير بموجبها الارض والشمس والقمر والكواكب والنجوم واجرام اخرى من شهب ومذنبات ونيازك

ان في سيرة نيوتن الدينية لعمدة للذين يتظاهرون بالألحاد بحجة انهم طبعيون وانهم واقفون على بواطن العلوم . ولو كانوا طبعيين فعلاً مدركين لاسرار الكون في انظمتهم ونظامهم ، لآمنوا بمبدعه ولا نكروا الألحاد ومقتوه ، ولكنهم سطحيون لا يعرفون من العلوم الا قشورها ، ولا من اسرار الكون الا لفظها ، وراحوا يسترون ضعفهم وجهلهم بالنظام بالألحاد ، وبأن ما يقولون ليس الا نتيجة لدراسة وبحث ، وما دروا انهم بذلك أقاموا الدليل على نقص ادراكهم ، وقصر نظرهم ، وضيق أفق تفكيرهم

لقد سيطر الروح العلمي والديني على نيوتن فأثر في طباعه ، وأخلاقه ومعاملته للناس . كان يزدان بالتواضع وخفض الجناح ، يحكم العقل في أعماله ولا يسير الا على هداة ووحية ، متجهاً بكليته الى الدرس والبحث ، عاملاً على كشف انظمة هذا الكون ، متأملاً في آلاء الله وروائع نواحيه ، ومع هذا كله فما صفت له الحياة ، وقد أفسدها عليه الحسد والثوم ، فقد سلط عليه الحاسدون سهامهم فما كشف كشفاً الا قام من يدعى السبق اليه ، ولا أتى برأي جديد الا اعترضه بعض معاصريه مسفينين ، ولا أخرج مؤلفاً الا انبرى بعض الفلاسفة بالظعن والتخطئة ، وكان يضطر ازاء ذلك الى الرد والمصاولة ، ولا يخفى ما يقتضيه هذا من اجهاد الفكر وإنفاق الوقت في امور لا طائل تحتها ولا فائدة من وراءها ، ويعترف بذلك فيقول :



«... لقد أضنتني المجادلات» فذهبت براحة باله، ونفست عليه عيشه....

وعلى الرغم من ذلك فقد كان أحسن حالاً من كثيرين من العلماء الطبيعيين والفلسفيين الذين سبقوه أو عاصروه في البلاد الأخرى. لم يلق اضطهاداً، ولا أصابه عذاب، ولا أحاطه سجن، بل كان في رعاية قومه ومحل تقديرهم وإكرامهم. انتخبوه عضواً في البرلمان، وعينهوه رئيساً لدار سك النقود، ورئيساً للجمعية الملكية، وبقي في الرأسة أربعاً وعشرين سنة. وعند موته دفنوه في كنيسة وستمنستر، ونصبوا له التماثيل، كما أقاموا له الاحتفالات أحياءً لذكراه، واعترافاً بفضلِهِ على العلم والاكتشاف.

وفي أثناء دراسته وضع نيوتن النظرية ذات الحدين المعروفة في الجبر، وأتى بمسائل أدت إلى التكامل والتفاضل، فوضع أساس العامل التفاضلي وحساب التكامل، وبين المعاني المنطوية فيهما، وقد ساعدته طرقه فيها على التوسع في بحوث ميكانيكا النظام الشمسي، وهو أروع البحوث التي طرقها نيوتن، وفرع التفاضل والتكامل هذا من أجل الفروع الرياضية وهو من أهم الأسلحة التي يستخدمها العلماء، والمخترعون، في تدليل الصعوبات التي تواجههم عند تطبيق النظريات الطبيعية والنواميس الكونية. ويمكن القول أنه لولا نيوتن والرياضيات التي كشفها لما تقدم الاختراع والاكتشاف تقدمهما المنشود.

وكذلك كشف أن ضوء الشمس قوامه أشعة مختلفة تنعطف عند الانكسار بمقادير متباينة. وأنه بذلك يتألف من سبعة ألوان يطلق عليها الطيف الشمسي، ومن هنا تبين أن ضوء الشمس ليس بسيطاً وإنما هو مركب يتفرق عند مروره في منشور إلى مركبات عديدة أهمها الألوان السبعة المعروفة، وأنه إذا تجمعت هذه المركبات حدث من تجمعها ضوء أبيض. وتجارب في هذا الصدد مشهورة يمكن الرجوع إليها في كتب الطبيعة. وقد تمكن في هذه الكشوف من شرح طريقة جديدة للمراقب الملكية ليس لظاهرة تفرقة الضوء دخل فيها، وصنع مراقب بلغت قوة تكبير بعضها أربعين ضعفاً. وله مذهب في طبيعة الضوء بقي سائداً ومعترفاً به مدة طويلة ويعرف باسم مذهب الدقائق Corpuscular وهو معارض للنظرية الموجية. وعلى الرغم من ظهور طائفة كبيرة تقول بأن الضوء أمواج مستعرضة، فقد تغير الاتجاه في هذا القرن، وهو يقضي بجمع النظرية الموجية ونظرية الدقائق أي أن الضوء دقائق ولكنها تسير سيراً موجياً.

أما في الميكانيكا الحديثة، فإليه يرجع الفضل في تكوينها والسير بها خطوات واسعة فاصلة. ولعل أخطر بحوثه فيها بحث الجاذبية فقد كشف عن قانونها ولم يكن ذلك عن طريق الصدفة، بل كان نتيجة لبحث وتأمل ودراصة. لقد بين أن الجذب موجود بين كل كتلتين،



وان مقدار الجاذبية بين دقيقتين ماديتين يتناسب تناسباً طردياً مع كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بينهما ، وقال ان هذا القانون يسري على الأرض وما عليها وعلى الأجرام السماوية بل وعلى جميع موجودات هذا الكون

ولقد أدى كشفه لهذا القانون الى وضع القواعد الاساسية لعلم الديناميكا ، وهذه القواعد هي القوانين الثلاثة المعروفة ( بقوانين نيوتن ) . وعلى هذا فقوانين كيبلر الثلاثة يمكن استخراجها منه ، فهو ( أي قانون الجاذبية ) ينطبق على حركات الشمس والقمر والكواكب والنجوم المبعثرة في الفضاء . أما القوانين الثلاثة فهي :

١ — يبقى الجسم في حالة السكون او الحركة المستقيمة المنتظمة ما لم تؤثر فيه قوة تغير حالته ويعرف هذا القانون بقانون القصور الذاتي

٢ — ويشير القانون الثاني الى ان ما تحدثه القوة من التغير في كمية التحرك لجسم ما ، يكون على قدر تلك القوة ، فكما كبرت القوة عظم ( تبعاً لها ) التغير الذي تحدثه في كمية التحرك للجسم

٣ — أما القانون الثالث فهو لكل فعل رد فعل مساو له ويضاده في الاتجاه ، أي ان الجزء على قدر العمل ، وان غريزة الأجسام تدعوها الى دفع الشر بمثلِه

وكذلك هو أول من مضى في استخراج قانون متوازي اضلاع القوى على أسلوب منطقي خال من الغموض . وقد وضع الجاذبية وما نتج عنها من قوانين وما استخرج منها من نتائج وتفسيرات لظواهر متعددة ( فلكية وطبيعية ) في كتاب اشتهر باسم ( البرنسبيا ) ويعد هذا الكتاب من أجل الكتب في الطبيعة ، ويتجلى لنا فيه « .. اثر نيوتن في الميكانيكا وهو اثر من يضع الاساس ويعلم به فوق سطح الارض بحيث لا يكون في مقدور من يخلفه غير البناء على الاساس الذي وضعه من غير اخلال به او تغيير للاسلوب الموضوع للبناء ، وقد ظلت الحال كذلك الى قبيل وقتنا الحاضر ... »

واختم كلامي عن نيوتن وما آثره الرياضية والطبيعية واثرها في العمران بما قاله العالم الاميري الشهير ملكن : « انه اذا أزلنا من العمران الحالي أحد القوانين الرياضية التي وضعها وحققها نيوتن وجب أن نزيل كل آلة لتحويل القوة الى حركة لأنها كلها بنيت على هذا القانون الرياضي الشامل . ومع ذلك لما كشف نيوتن قانونه لم يكن قصده استنباط آلة بخارية أو سيارة أو طائرة ، ولكن هذه المستنبطات بنيت عليه . فاذا أزلناه تهدم عمراننا كأنه بيت من ورق ... »

بعد هذا القول أليس نيوتن جديراً بلقب أمير العلم ؟



## الساعة

إن الساعة — هذا الآله الأشم الرهيب الذي لا يشعر —  
ليهددنا ببنايه ويقول : ( تذكر ! )

إن الآلام المرتعشة لتستقر في قلبك الذي يشيع فيه الذعر  
كأنما تستقر في هدف ،

وإن اللذة المتطايرة تفر إلى الأفق كما تفر جنبة إلى مسارها الخفية .

وإن كل لحظة تلتهم منك متعة من السرور ، هي نصيب كل إنسان مدى حياته .  
إن الثانية لتسر إليك ثلاثة آلاف ومائة مرة في الساعة هامة : « تذكر »

وإن « الآن » ليقول لك بصوته الذي يشبه صوت الحشرة :

« أنا زمن مضى وقد مصبت حياتك بخرطومي المدنس »

تذكر ، تذكر ، تذكر <sup>(١)</sup> أيها المترف ... !

فخنجرتي المعدنية تتكلم كل لسان .

تذكر أيها العابت الغاني أن الدقائق تبرز ، فعليك أن لا تدعه يفلت

دون أن تستخرج منه الذهب !

تذكر أن الزمن مقامر جشع يربح كل مقامرة بلا خداع ، فهذه مسخته ... !

تذكر أن النهار يزول والليل يطول ،

وأن الهاوية دائماً ظمأى ، وساعة الماء تصب ماءها .

بعد لحظة ستدق الساعة التي تقول لك فيها الصدفة الإلهية

والفضيلة الجليلة : زوجك التي ما زالت بكرآ ،

كما تقول لك الحسرة : « آه ! هذا الملاذ الأخير »

ويقول لك كل شيء أيضاً :

« مت ! أيها الجبان العريق ! لقد فات الأوان ! »

عثمان على عمل

(١) « تذكر » يرددها بودليز هنا ثلاث مرات مرة بالانكليزية ومرة بالفرنسية وأخرى باللاتينية



(١)

## غرائب العشر

نبات تستخرج منه عجائب صناعية

لعوض جندي

ان ملكت نباتاً يستطيع انقاذك من الغرق ، وكان ليفه أو شعره صالحاً لصنع نسيج يكاد يبلغ متانة القنب ، وأوراقه صالحة لصنع المطاط ( الكاوتشوك أو الصمغ الرن ) وسبقانه يمكن تحويلها الى ورق متين وقبعات خفيفة الوزن ، وبذوره تنتج زيتاً لذيذاً يشبه زيت البسلة الصينية كل الشبه — إن نباتاً هذا شأنه وهذه خيراتة ومزاياه يصح وصفه بأنه كنز من الذهب ونعني به نباتاً يكاد يزرع في أرجاء بلاد الولايات المتحدة الاميركية قاطبة حيث يحسب بلا مراء ذخيرة من ذخائر الوطنيه . وما هذا النبات إلا شجيرة تدرّ حليباً نباتياً ذا منافع جليلة . وتنمو هذه الشجرة في كل مكان حتى المواضع التي لا تصلح لنمو الحشيش ، ولا تسطو عليها الحشرات أبداً . ولذلك يرى الدكتور بوريس بركان Dr. Boris Berkman في شيكاغو ان هذا النبات خليف بالاعجاب لأنه مهلك للحشرات فقد جرّب هذا العالم تجارب علمية فنية أثبتت رأيه هذا

وشهد الدكتور بركان في المؤتمر الذي عقد حديثاً خاصاً بالبحث في المحصولات الجديدة المراد زرعها في أميركا فقال ان في شمال ولاية ميشيغان ١٥٠٠٠ فدان من الأراضي البور زرعت في ١٩٤٢ بشجيرات العشر وسينشأ هناك مصنع للتجارب . أما في سنة ١٩٤٣ فيقتظر بلوغ المساحة التي ستزوع بهذا النبات مليوناً من الأفدنة وذلك في ست ولايات وأشار بركان على قومه بزراعة هذا الصنف من النبات في المساحات التي لا تصلح لنمو غيره من المحصولات وأيضاً في الأطنان التي لا يكون فيها منافساً لغيره من النباتات الموجودة فيساعد كثيراً على اصلاح تربتها اصلاً نهائياً . واليك منافع هذا النبات : —  
أولاًها مساعدة البلاد الاميركية على إيجاد بديل لحريير الكابوك<sup>(٢)</sup> الذي انقطع وروده اليها في هذه الحقبة وهو الذي كان قواماً لصنع عطفيات (جاكتات) البحارة الواقية من الغرق

(١) يضم العين وفتح الثوب Milkweed واسمه العلمي Asclepias وهو اسم جنسه ( المتطف )

(٢) راجع باب الاختبار العلمية في هذا الجزء من المتطف



اذ كانت الولايات المتحدة الاميركية تستورد كل سنة عشرة آلاف طن كابوك من الشرق الأقصى أي من جاوى وسيلان وجزائر الهند الهولندية ومن البلدان التي غزاها اليابانيون ويلوح للقارئ ان هذا القدر ضئيل غير انه اذا عرف أن عطيف الانقاذ من الغرق انما يستنفد في صنعه ثلاثة أربال من الكابوك ، لا يشك في انه يصنع من العشرة الآلاف الطن المشار اليها ٦٦٠٠٠٠٠ عطيف . وبين الحرير الذي ينتج من شجر العشر وحرير الكابوك شبه عظيم ومن أجل هذا يسهل احلال الأول محل الثاني في المصنوعات

وكان الرأي ان الكابوك يستحيل أن يحل غيره محله لأنه من الشعور النباتية القليلة الوجود المجوفة التي تحتوي على خلايا هوائية . وهذا سبب ما يتصف به من الخفة في العوم وانقاذ مستعمله من الغرق . ولكن شجر العشر على ما يقول الدكتور بركان هو النبات الاميركي الفذ ذو الشعر المائل حقيقة لشعر الكابوك وهو الذي غدت البلاد الاميركية في حاجة ماسة اليه الآن . وهناك عدا الكابوك مصدر آخر وحيد يمكن استعماله مادة لصنع مناطق النجاة من الغرق ونعني به الفلين وهو ايضا من الحاصلات العسير جداً الحصول عليها في هذه الايام التي حى فيها وطيس القتال ، اذ ما فتئت اسبانيا أكبر دولة تصدر الفلين ولكن استثنائاً المانيا بمعظم مواردها حال دون ارسال الفلين الى الولايات المتحدة الاميركية

بيد أن الدكتور بركان يرى ان حرمان بلاده الفلين الاسباني ليس امراً خطيراً ما دام العشر أخف من الفلين من خمس مرات الى ست . وقد دلت التجارب التي جرت في حرير العشر أن الرطل منه يظل خفيفاً بعد مكثه في الماء ٤٨ ساعة فيحتمل ٥٠ رطلاً من الاثقال التي توضع فوقه وأن العطيف الذي ينسج من رطلين أو ثلاثة اربال من ذلك الحرير يحمل رجلاً في الماء نحو ١٠٠ ساعة

واقترح الدكتور بركان على ولاية الامور في اميركا طريقة لصنع جميع بطانات ثياب الطيارين البحريين من حرير العشر لان هذا الحرير يدق لا بسه اكبر من الصوف وهو أخف من الصوف ست مرات ، اذا قابلنا كل طبقة منه بمثلها من الصوف . وحينئذ يتمتع الطيارون بملايس رفيعة دافئة خفيفة الوزن في أثناء أعمالهم الحربية . فاذا اتفق سقوطهم في اليم كانت ملابسهم الخاصة بالطيران واقية لهم من الغرق حينما يسقطون

ولما كان الدكتور بركان طبيباً فإنه لم يغفل طريقة حشو الوسائد بحرير العشر بدلاً من الريش المألوف وقاية للناس الذين يصابون بالتهيج الجلدي حينما يستنشقون رائحة الريش . ويتسنى تلبيد حرير العشر مثل القرو وتحويله الى قبعات صيفية خفيفة كالريش لا يخرقها الماء . ويقول الدكتور بركان ايضاً ان كثيرين من أمهر العلماء قد درسوا النافع الممكن جنيها من هذا النبات



ولكنهم كانوا دائماً يضلون السبيل لما كان يعترضهم من العقبات الفنية التي استعصى عليهم حلها ونعني بها كيفية التصرف بالعصير اللبني وهو أهم عناصر النبات ومنه اشتق اسمه milkweed وهو يشبه لبن أشجار المطاط (الكاوتشوك) المعروفة باسم پارا Para والحقيقة أن أوراق شجر العشر وسيقانه تحتوي على لبن مطاط ولكنه ليس كافياً لتسوين قصر استعماله على صنع المطاط دون كل شيء آخر. وقد أدخل كثيرون من المخترعين هذا اللبن النباتي في كثير من المصنوعات إذ أعلن حديثاً أن إحدى الشركات الكبيرة لصنع الطائرات في الساحل الأميركي الغربي قد تولت صناعة ذلك المطاط الجديد وتجربته في أعمالها. وكان غيرهم من أرباب المصانع القديمة يتعذر عليهم فتح لوز ذلك النبات أو قروونه بطرق أيسر من الطريقة اليدوية المألوفة لأن هذه الطريقة لا يمكن تنفيذها في بلاد الولايات المتحدة الأميركية. غل الدكتور بركان هذه العقدة حلاً سهلاً وذلك بتجفيف اللوز فيفتتح بنفسه وقد اخترع أيضاً دولا باً لحلج حرير العشر، يفصل البذور من الشعر أسوةً بمحالج القطن المشهورة

ومن البذور يستخرج زيت ثمين وتحتوي البذور على ٢٥ ٪ من ذلك الزيت. وهي نسبة تفوق ما يستخرج من البسلة الصينية أو فول الصويا. وزيت بذور العشر من الزيوت الخفيفة للطلاء (البويا) ويستعمل في صقل المصنوعات الخشبية مثل زيت البسلة الصينية سواء ومن لوزه يمكن استخراج ٥ ٪ مطاط و ٥ ٪ شمع وعدا ذلك يمكن انتاج ألياف فاخرة لصنع الورق. وهذه الأعمال تستنفد اللوز بأجمعه ولكنها ليست جميع المنافع الجليلة التي تجني من ذلك النبات. فمن السيقان تستخرج ثلاثة أنواع مختلفة من الشعر أو لها يسمى bast أي ليف النبات وهو يحتوي على ٩٢ ٪ من السلولوس ويكاد يضارع القطن لأن القطن يحتوي ٩٤ ٪ من السلولوس ويدخل في صنع قطن البارود مثل النيتروسلولوس. ويحوّل الى حرير صناعي أو ورق أو أي شيء من الأشياء المعتاد صنعها من زغابة القطن وقدّر الدكتور بركان أن الفدان الذي يزرع بهذا النبات ينتج ألف رطل أو بالتين من الألياف المائلة للقطن الناعم من جهة احتوائه على السلولوس

والصناعات التي تنفع انتفاعاً كبيراً بهذه الألياف المستخرجة من السيقان خمس على الأقل وهي أولاً: صناعة الورق. وثانياً: الصناعة الكيميائية الخاصة بانتاج الحرير الصناعي والفرقعات وثالثاً: صناعة المنسوجات لأن بعض ألياف السيقان أو شعرها أمتن من أي نوع منها ما عدا الجوت. ورابعاً: صناعة خشب الحيطان التي تفتتح المواد العازلة للحرارة. وخامساً: صناعة العجائن الكيميائية لأن سلولوس ذلك النبات يتيسر تحويله الى عجائن كيميائية جميلة وينتظر أن يكون لترويح زراعة هذا النبات في بلدان الولايات المتحدة الأميركية



مستقبل عظيم باعتباره محصولاً من المحصولات الراجحة جداً لأن الفلاح الذي يحصد اللوز والسيقان من فدان واحد يبيعها بأربعين ريالاً كل سنة . وإذا تمكن من جمع الاوراق أيضاً باعها بخمسين ريالاً في السنة من كل فدان . ثم ختم الدكتور بركان مقاله باسداء نصحه الى الزراع الذين يقبلون على زرع هذا الصنف من النبات العجيب قائلاً ان نجاحهم متوقف على انشاء مصانع قريبة من مناطق الزراعة لكي تحول محصولاتهم الى منتجات نفيسة نافعة ووصفت مجلة الميكانيكا الاميركية في أحد اجزائها الحديثة هذا النبات البديع بقالت : —  
قضى عالم أميركي خمس سنوات جاداً في تجربة نبات العشر المؤلف فاستخرج منه مطاطاً ذا بروتين غزير فلا يحترق ولا يذوب ولا يتحلل في البنزين بل يتصلب عند ملامسته للبنزين او الكحول

ويتاح استغلال هذا النبات بعد زرعه بتسعة اشهر . وهذا يخالف شجر البار الذي يستخرج منه المطاط اذ يمكث ١٥ سنة حتى يتم نضجه وهو المصدر الآخر الطبيعي الوحيد المشهور للمطاط . ويقال إن انتشار زراعة العشر في أراضي الولايات المتحدة سيجعلها بعد سنتين تستغني عن استيراد المطاط من الخارج

ومخترع هذا النوع من المطاط ويليم شارب الكيميائي وصاحب المخترعات التي تربي على ٤٠٠ اختراع ومنها محرك بنزيني ذودف وجهاز للاستدلال على الغواصات . وهو أيضاً واضع رسومات كثير من الطائرات وملحقاتها

وقد فحص حديثاً مصنع دوجلاس للطائرات المطاط المستخرج من هذا النبات . ويقول الذين شاهدوه إنه اسود حالك عديم الرائحة متين مثل جلد الاحذية . وقد اختبر المخترع هذا المطاط في اجزاء صغيرة مثل حياض وقود الطائرات اذ أشعل فيها البنزين اكثر من ٥٠٠ مرة فلم تتلف بل ظل المطاط المبطن به مرناً كما كان قبل اشعال البنزين فيه . وأطلقت رصاصات لا عدد لها على احواض مغطاة بثلاث طبقات من المطاط المشار اليه ملاي بالبنزين فلم تهرق منها قطرة واحدة ، وليس في هذه الحياض من المعدن الا هيكلها . أما غطاؤها فكله من المطاط ما عدا ما يقرب من رطل واحد من المعدن لكل قدم مربعة من السطح . والطبقة الداخلية لمطاط الحوض تقاوم تأثير البنزين . أما طبقة القلب فتكون من المطاط اللين الذي يتصلب حالما يلامسه الوقود . على حين ان الطبقة الخارجية تماثل الانبوب الداخلي من عجل السيارات وتقوى بشبكة من أسلاك مصنوعة من خليط النيكل والخيش المستعمل لحزم الرزم والبالات اذا رش عليه صنف سائل من أصناف المطاط الجديد فلا يحترق . وقد غطست قطع ثخينة من هذا المطاط سنة كاملة في البنزين فاحتفظت بمرورتها وقامت بوظيفتها قياماً يكاد يضارع الشقق الحديثة الضغط



ويزكو شجر العشر زكاءً طبيعيًا في كثير من أنحاء العالم . ويعتقد الثقات أن الاطيان المزمع زرعها بهذا النبات تستطيع في سنتين أن تمون الطائرات المدنية والحربية جميعها في الولايات المتحدة الاميركية بما تحتاج اليه من المطاط . ويقول شارب أن الاطيان المزروعة بهذا المطاط بلغت مساحتها ٢٧٠٠٠ فدان وذلك في جنوب كاليفورنيا وحدها ويمكن أن تنتج ١٠٠٠٠٠ طن من النبات يستخرج منها ٥٠٠٠٠٠ طن من المطاط . وزرع المخترع هذه الاعشاب البرية في خطوط وذلك في أواخر اكتوبر سنة ١٩٤١ ثم حصدها في يولييه سنة ١٩٤٢ فكان متوسط محصول كل شجيرة خمسة ارطال وبلغت غلة الفدان ٢٨ طنًا . وتقطع الشجيرات حينما تكون هشة خضراء ثم تغسل وتغصم مثل قصب السكر والعصير الذي يستخرج منها يحفظ سبعة ايام ثم يصفى ويخزن وحينئذ تضاف اليه زريعة من البكتيريا لتحث فيه تخمرًا يتولد منه ضرب جديد من المطاط . وتطفو قشده أو لبنة في خلال يومين فتقش على شكل طبقة رقيقة

وحينما نذكر العمل الذي تؤديه البكتيريا في صنع اللبن<sup>(١)</sup> وخر التفاح وغيرها من منتجات الاغذية ، فاننا لا نعجب من قيام بعض سلالات تلك البكتيريا بانتاج المطاط حينما تضاف زريعاتها الى اللبن النباتي اذ تتضاعف جماعات البكتيريا فتأكل المواد الذشوية وتحول كثيرًا من اللبن الى روتين . والسر في التجفيف اذ تتولد كريات دقيقة في هاتيك الخاليط فتعطي اللبن المرونة اللازمة ويتيسر تحويل تسعة اعشار ذلك اللبن الى درجات شتى من المطاط . ويجمع اللبن كل يومين ثم تخض القشدة بمخضه تزيل الرطوبة الزائدة على الحاجة وكذلك الجزيئات الغريبة ثم يوضع السائل في غلاية ساخنة مفرغة من الهواء وحينئذ تضاف اليه المواد الكيميائية والمادة المزيلة للرائحة ويطحخ السائل ساعة كاملة على حرارة ٣٠٠ درجة فهرنهايت ، حتى يصير مادته مثل عجينة لينة تكاد تشبه قوام القطران الثقيل في مثل تلك الدرجة الحرارية . وبعد ذلك يبسط المزيج على صوان معدنية وتسلط عليه الاضواء التي تحت الحمراء فتجف تلك المادة بعد انقضاء ساعة جفافًا يجعلها صالحة للمصنع فيحولها الى لفات مثل مطاط بارا . وتستغرق عمليات الحصاد والصنع والضغط جميعها زمانًا قلما يزيد على ثلاث ساعات . والبروتين الغزير صالح جدًا للاستعمال في أسلحة الحرب خاصة . وبينما يحتوي مطاط شجر بارا في المتوسط على ١٥ ٪ من البروتين فإن البروتين الذي تولده البكتيريا في مطاط العشر يبلغ ٢٨ ٪ وهذا مما يجعله يقاوم التجمد والاحماض والمواد الكيميائية

(١) راجع مقالنا «العفن غذاء ودواء» في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣



# المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت  
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

## تمهيد للمترجم

كاتبة هذا المقال هي الباحثة في المشرقيات السيدة نابية أبوت Nabia Abbot بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو . ولها كتاب طبع في شيكاغو سنة ١٩٣٩ عن نشأة الخط العربي الشمالي (١) وتطوره في كتابة المصاحف . ويظهر أن لها أبحاثاً متفرقة في « المجلة الاميركية للغات السامية وأدائها » « The American Journal of Semitic Languages and Literatures » التي تخرجها جامعة شيكاغو أربع مرات في كل عام . وهي المجلة التي ترجمنا عنها هذا البحث الطريف وهذا البحث يعرض لنا عرضاً شاملاً صوراً للمرأة العربية في فجر الاسلام . وهذه الصور مبعثرة في كتب التاريخ والسير ، وقد نجد الصورة الواحدة ملونة بألوان تتفق مع ميول الرواة والمؤرخين وأهوائهم المذهبية والسياسية والقبلية « نسبة الى القبيلة » . إلا ان السيدة نابية أبوت استطاعت بحذقها ومهارتها وفطرتها النسائية أن تؤلف بين هذه الألوان المتنافرة حيفاً والمتألفة حيناً آخر ، وأن تجمع منها صوراً منسجمة الألوان مؤلفة الضياء والظلال

ولقد رجعت الباحثة الى طائفة من المراجع المختلفة ما بين عربي وأفريقي ، وشرقي وغربي ومخطوط ومطبوع مما سمجده القارئ في هوامشها التي تدل على بسطة في الاطلاع وسعة في البحث وتمسك من الموضوع ولقد حافظت في الترجمة جهدي أن أكون أميناً في النقل ، حريصاً في الاداء . وخاصة في عبارة الباحثة نفسها ، أما ما يعرض خلال ذلك من مناقشة أو محاورة أو قصة طريفة فقد بعثت قليلاً عن الكاتبة وعبارةها ، ورجعت الى العبارة العربية والرواية التاريخية في مظانها ومصادرها من كتب السير والتاريخ والادب العربية . ويجد القارئ مثلاً لذلك في حديث هند بنت عتبة مع النبي عليه السلام في المباينة ، وحديث هند مع الخنساء في معاظلة كل منهما صاحبتهما بصميتي . ولم يخرجني تماس العبارة العربية عن جادة الامانة في الترجمة ورأيت أن أضيف الى المقال بعض تعليقات توسع أطراف الموضوع مما اضطرت الباحثة الى اجماله أو اغفاله ، ووضعت هذه التعليقات بين حاصرتين في حرف اصغر من الحرف الذي جمع به أصل البحث دلالة على انها من قلم المترجم لا من كلام الباحثة الفاضلة

وأنا سعيد اذ أتاح لي صديقي — رئيس تحرير المقتطف — هذه الفرصة الكريمة لنقل هذا البحث الطريف المفيد عن الانكليزية ، فقد جعلتني هذه الترجمة أرجع الى كثير من المراجع التي أشارت اليها الباحثة وأستخرج منها ما يفيدني علماً ويكسبني معرفة — وخاصة كل ما يتعلق بالسيرة النبوية — وكذلك عادت فائدة هذا العمل إلي ، فإذا وجد القراء في البحث نفسه فائدة — وذلك ما لا يخامرني فيه ريب — فالفضل في ذلك طائد الى الباحثة التي لاءمت بين تلك الاشتات المنشورة هنا وهناك وأخرجت منها صورة حية ناطقة للمرأة العربية في نواح مختلفة من حياتها . كما أن الفضل لحرر المقتطف الذي أشار علي بترجمة هذا المقال حتى يطالع عليه قراء العربية لان المجلة الاميركية التي نقلناه عنها ليست في متناول الكثير من أهل العلم وطلاب البحث

ودقة هذا البحث وطرافته وسعة أطرافه مما يشهد لكاتبته بالفضل والعلم الغزير ، فلندع مقالها يتحدث عنها

محمد عبد الغني حسن



## -١-

وضحت في مقال سابق أن جزيرة العرب في القديم كان فيها ملكات تفرذن بالسلطان ، وأن بعض هؤلاء الملكات كنَّ كاهنات يدعون الى الآلهة المحليين . وهكذا كان هؤلاء الملكات يحاذين في السلطة الدينية والزمنية ملوك الدين والدنيا الذين كثيراً ما ورد ذكرهم في تاريخ الشرق القديم

( ملك الدين والدنيا هي ترجمة وضعتها لكلمتي Priest-King التي استعملتها الباحثة . وقد أجاز لنا وضع هذه الترجمة قول الشاعر :  
فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله  
وقول الشاعر الآخر :  
أضحى أمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل )

ولقد كاد يختفي عصر ملكات جزيرة العرب — تلك الجزيرة التي أنجبت في زمن سحيق « جوليا » ملكة حمص و « زنوبيا » ملكة تدمر

( هي زينب ملكة تدمر ، وتعرف عند الرومان بزنبوبا أمبراطورة الشرق . تولت عرش تدمر بعد زوجها أذينة الذي قتل عام ٢٦٧ ميلادية ، وغزت مصر واتسعت رقعة مملكتها فأثار ذلك سخط الرومان عليها ، فزحف عليها أورليان قيصر الروم ففرجت ملاقاته قرب انطاكية وحمص . وكانت الدائرة عليها . ثم أعاد الكرة عليها في بلادها حتى تداعت أمام جيوشه أسوار تدمر . وأخذت زنوبيا أسيرة الى طاصمة الرومان في موكب أوهنها فيه ثقل قيود الذهب في رجليها . وهي غير الزباء ملكة الجزيرة ومشارك الشام التي نهضت للاخذ بثأر أبيها من قاتله جذيمة الأبرش — المترجم عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدود ص ٢١٩ ، ٢٢٧ ودائرة معارف Nuttal وبلوغ العرب للالوسي ص ١٧٧ ج ٢ )

وقبل ظهور الاسلام ببضعة قرون وهي الفترة التي أطلق عليها المؤرخون من المسلمين اسم عصر الجاهلية ، ظهر في جزيرة العرب ملكات لم يصل إلينا من تاريخهن إلا القليل ، منهن بلقيس الحميرية ، وماوية الغسانية ، وهند اللخمية

( لعلها هند بنت النعمان بن المنذر اللخمية . فاذا صح هذا فإن هذه لم تملك العرب يوماً ، ولكنها كانت بنت النعمان ملك الحيرة ، وزوجها عدي بن زيد العبادي الذي بلغ منزلة عظيمة في ديوان كسرى . وعدي هذا هو الذي اجتهد عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الحيرة — عن بلوغ العرب ص ٢٦٢ ج ٢ ، والدر المنثور )

وكثير من ملكات الغسانيين واللخمين والكنديين لم يصلنا من أخبارهن إلا القليل فيما لدينا من مصادر . حتى ان بعضهن لا نعرف عنهن إلا اسماءهن . وقد يكون سبب ذلك ندرة المصادر وفقرها من ناحية . أو تحيز المصادر الاسلامية في القرنين الثاني والثالث وعلى كل حال فإن ندرة الاخبار عن المرأة في العصور السابقة للاسلام قد يكون فيها بعض الدلالة على ما خسرته المرأة العربية من مزية الظهور في ميدان الحياة العامة

وقد يكون تغير الأحوال الاجتماعية الناشئ عن الاتصال بالأمم والممالك المجاورة سبباً في حرمان المرأة العربية — في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه — النفوذ والمزايا التي



تمتعت بها أختها في العصر القديم . ومهما يكن من الامر فان ذلك كله لا يعني ان المرأة العربية في تلك الحقبة أصبحت عديمة النفوذ في الأوجه المختلفة من حياتها الخاصة والعامة . فلقد كانت تتمتع بنصيب من الحرية ، وكانت على اختلاف طبقاتها تمثل دور الزوجة الصالحة والأم الطيبة . كما استطاعت ان تظهر نفسها في هذين الدورين أشد ما تكون قوة وأكثر ما تكون حرية أما في الشعر — وقد كان هوى سائداً في جزيرة العرب قبل الاسلام — فقد ظهرت المرأة العربية ظهوراً يبنياً . ولم يقتصر ظهور المرأة في الشعر الجاهلي على أن تكون هي موضوعاً للغزل عند الشعراء الغزلين ، يظهرن محاسنها ويتغنن بها في شعر عاطفي ، بل تعدى ذلك الى أن الشريف من العرب وهو على حال بين الحضارة والبداءة طمع في حكومتها الادبية ورفع من منزلة آرائها كناقدة

فهناك قصة امرئ القيس الكندي المعروف بالملك الضليل واعظم شعراء العربية ، فقد ظل بعد مقتل أبيه جائلاً بين احياء العرب حتى نزل على بني طي وتزوج واحدة من نسايم تعرف بأمر جندب

( تضبط الباحثة أم جندب بفتح الدال والصواب ضمها مع الجيم — عن جورج زيدان والاعلام للزركي ) وكان امرؤ القيس معاصراً للشاعر المشهور علقمة بن عبدة ( كتبه الباحثة ابن عبدة والصواب عبدة بفتح العين والباء — عن الاغاني وزيدان والزركي ) فتنازعا أمانة الشعر ، ولم يعترف احدهما لصاحبه . واخيراً اقترح علقمة أن تكون الحكومة في هذه الخصومة الادبية لأم جندب ورضي امرؤ القيس بهذه الحكومة . فدعتهما ام جندب ليصنع كل منهما قصيدة من وزن واحد وقافية واحدة يصفان بها الجياد . فلما فرغا من عمل القصيدتين حكمت أم جندب لعلقمة على زوجها امرئ القيس فغضب وطلق امرأته فتزوجها علقمة (١)

وهذه القصة قد تكون خرافية — لأن الخصومة بين هذين الشاعرين ليست موضع اليقين (٢) الا أن ظهور المرأة العربية الناقدة في بلاد ظهر فيها كثير من النساء الشواعر المعترف بمزاجهن الادبية المختلفة ليس امرأ بعيد الاحتمال . لأن العربي قبل الاسلام قد اعترف — في الحق — باشتراك المرأة الشاعرة في كثير من النواحي العامة (٣)

وفي هذه المناسبة يستطيع المرء أن يذكر اسم الشاعرة تماضر الخنساء أعظم شواعر الجاهلية وهي التي أدركت ظهور الاسلام . واعتنقت الدين الجديد ، وكان النبي يعجب بشعرها ويشي عليها (٤)

( ١ ) الاغاني ج ٧ ص ١٢٦ — ١٢٨

( ٢ ) تاريخ الادب العربي لكليمان هيوار ( ٣ ) رياض الادب في مرآتي شواعر العرب الاب شيخو

اليسوعي ( ٤ ) الاصابة لابن حجر ، وشرح ديوان الخنساء الاب شيخو ص ١٩ — ٢٣



وفي الحياة الدينية التي ترتبط على وجه العموم بالتقدم السياسي والاقتصادي والخير العام للشعب نرى طبقة معينة من النساء كان لهنَّ في الجاهلية شأنٌ منظمٌ محدود المعالم . ومن هؤلاء الكاهنة والعرافة ورببة البيت والمنتبئات من حين الى حين . ويظهر أن عملهنَّ كان يماثل من وجوه كثيرة عمل من يقابلهنَّ من الرجال المعروفين باسم الكاهن والعراف ورب البيت والمنتبئ

( من العرافين المشهورين في تاريخ الادب العربي عراف اليمامة وعراف نجد وفيهما يقول الشاعر :  
جعلت لعراف اليمامة حكماً وعراف نجد انهما شقيان  
ويقول شاعر آخر

ولو جاء عراف اليمامة يبتغي شفائي لرد الطرف وهو حسير  
وفي ربة البيت يقول أحدهم -  
ياربة البيت قوي غير صاغرة ضمي اليك رجال القوم والقربا )

والمصادر المعروفة لدينا عن الكاهنة في الأدب العربي أكثر من أن تحصى<sup>(٥)</sup> . والسير القديمة تربط بين هؤلاء الكواهن وبين التيارات الكبرى في سياسة القبائل والهجرات المختلفة . ونذكر على سبيل المثال هنا القصة المشهورة عن الزرقاء

(أشارت الباحثة هنا الى مصدر هذه القصة في دائرة المعارف الاسلامية مادة تنوخ — وهي ليست تحت يدي . ولعلها تريد زرقاء اليمامة المشهورة بحدة بصرها )

التي استطاعت رؤاها وصدق منطوقها أن تكون رائداً لتحرك التنوخيين من اليمن الى بلاد الحيرة<sup>(٦)</sup>

وهناك ايضاً قصة تعادل هذه القصة في تبيان ما للكاهنة من مقام وهي قصة « طريفة » التي صحبت قبائل أخرى من اليمن الى بلاد الحجاز<sup>(٧)</sup>

وكان لذكواهن شأنٌ في حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وفي واقعة ذي قار<sup>(٨)</sup> بين العرب والفرس

( سبب هذه الواقعة قتل النعمان بن المنذر النخعي عدي بن زيد العبادي وكان عدي من تراجة كبرى بن هرمز . وقد قتل كسرى النعمان بسبب مكيدة صنعها زيد بن عدي انتقاماً لآبيه . فقامت الحرب بين الفرس والعرب — الطبري ج ٢ ص ١٥٢ . بلوغ الارب ج ٢ ص ٢٦٥ )

ولقد جاء في مسند أحمد بن حنبل

( ضبطته الباحثة مسند بفتح الميم والصواب ضمها )

ان كاهنة تنبأت لقريش بمبعث الرسول قبل البعثة بعشرين عاماً<sup>(٩)</sup> وروى ذلك ايضاً ابن

( ٥ ) دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٦٢٤ — ٦٢٦ ، Wellhausen ص ١٣٠ ، والاب انستاس ماري الكرملي ، والاب هنري لامنس في كتابه بلاد العرب الغربية قبل الهجرة طبع بيروت ص ٦٠  
( ٦ ) ملحق دائرة المعارف الاسلامية مادة تنوخ ( ٧ ) الاغانى ، ومروج الذهب للمسعودي ( ٨ ) هنري لامنس المصدر السابق ( ٩ ) مسند احمد بن حنبل طبع القاهرة ص ٣٣٢ وتاريخ ابن عساكر المعروف بالتاريخ الكبير ص ٣٦٧



عساكر في تاريخه الكبير . وكثيرات من هؤلاء الكواهن ورد ذكرهن في وقت النبي — عليه السلام — فهناك « الغيطلة » <sup>(١٠)</sup> القرشية

( وهي من بني مرة بن عبد مائة بن كنانة وقيل لاولادها الغياطل . وفيهم يقول ابو طالب عم النبي :  
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا  
بني خلف قيضاً بنا والغياطل  
من قصيدته التي يقول فيها عن محمد عليه السلام

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

يلوذ به الهلاك من آل هاشم

وابن هشام صاحب السيرة يذكر أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة — عن ابن هشام ص (١٧١)

وهناك كاهنة بني حدس <sup>(١١)</sup> وحزام كاهنة بني سعد ، وفاطمة بنت النعمان التي ظهرت في مكة في زمن الهجرة . وهناك كاهنة لم تذكر المصادر اسمها ظهرت في المدينة في قرابة ذلك الوقت <sup>(١٢)</sup>

ولم يخف هؤلاء الكواهن اختفاءً تاماً <sup>(١٣)</sup> بعد ظهور النبي الذي كان يقول عنه خصومه انه كاهن

( وفي كتب السيرة ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن ورأي فيهم . فقال لهم ماذا تقولون في محمد ؟ قالوا : نقول كاهناً . قال والله ما هو بكاهن )

ولقد بدأت سجاج التيمية دورها في ادعاء النبوة — كما سنرى عما قليل — بظهورها كاهنة ولم تكن أعمال الكاهن أو الكاهنة في العادة مقيدة بقيود . وكثيراً ما كان الكاهن يتولى عمل الحاكم الذي يفصل بين الناس <sup>(١٤)</sup> في الخصومات . ومن الصعب أن نتبع الكواهن اللائي قنَّ بمهمة الحكم في الأمور إلا أنه ورد لبعضهن ذكر في كتب السير <sup>(١٥)</sup>  
وفي بعض الاحيان كانت الكاهنة تقوم على بيت لعبادة الهة معينة فتدعى من أجل ذلك ربة البيت . وخصائص وظيفة ربة البيت لا تبدو واضحة لنا ، ولو ان طبيعتها الدينية الزمنية ليست موضعاً للشك

وربة البيت لا يدور اسمها كثيراً في كتب السير كما يدور اسم الكاهنة ، وقد يكون مرد

(١٠) سيرة ابن هشام طبعة ويستنفذ ص ١٣٢ (١١) المصدر السابق ٧٩٧ (١٢) طبقات ابن سعد ج ١ الورقات ٤٩ ، ١١٠ ، ١٢٦ (١٣) الاغانى ج ٢١ ص ٢٧٥ (١٤) كتاب لامنس السابق ص ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٥٨ (١٥) الاغانى ج ٢١ ص ٢٠٦ يذكر عدداً من هؤلاء ، وكذلك الابا أنستاس الكرملي في كتابه السابق ص ٦٠ ، وكذلك المستشرق فرايتاج



ذلك الى تغير في مقامها الاجتماعي في العصور القريبة من ظهور الاسلام او الى تغير في معنى كلمة رب . . وربة ، وقد أخذت اولاهما معنى جديداً في الاسلام ففي الجاهلية كانت اللفظتان تطلقان على الكائنات البشرية ، فلما جاء الاسلام صار « الرب » اسماً لله تعالى وحده ،<sup>(١٦)</sup> اما الربة فلم يعد لها استعمال ديني . وبالرغم من ذلك فقد ظهر في عهد النبوة اثنتان أو ثلاث من هؤلاء الربات<sup>(١٧)</sup> ولكن واحدة منهن واسمها سارة بنت نبهان اعتنقت الاسلام<sup>(١٨)</sup> . أما المتنبئات من العرب فانهن يظهرن في التاريخ أقل ندرة من هؤلاء الربات . وفي الحق اننا نعرف واحدة من اكثر هؤلاء المتنبئات نشاطاً — وهي سجاح المشهورة التي سيرد ذكر ادعائها النبوة بعد قليل ، وقد ظهرت حركتها بعد وفاة النبي .

## — ٢ —

لقد رأينا ( تشير الباحثة الى مقال لها سابق عنوانه « ملكات العرب قبل الاسلام » نشر في المجلة الامريكية للغات والآداب السامية سنة ١٩٤١ ) كيف كانت الملكات في بلاد العرب القديمة يقدن مراراً جيوشن أو يصبحن أزواجهن في غاراتهم . وما كانت الملكة تفعله في الحرب كانت كل امرأة اخرى تفعله . ولهذا ليس بالمعجب ان نجد المرأة العربية في فجر الاسلام تلعب ادواراً عديدة في أيام العرب<sup>(١٩)</sup> . وفي بعض الاحيان كانت المرأة العربية الباعث على الغارات بين القبائل . وفي بعض الاحيان كانت تستعمل فطنتها لتشارك في الحروب بالتجسس على اخبار العدو حرصاً على مصلحة أسرته أو قبيلتها . وكثيراً ما كانت تثير الحماسة في نفوس الرجال أو تساعدهم اذا لم تخرج معهم الى ميدان القتال . وكثيراً ما رأينا امرأة دفعت أخاها أو زوجها أو ولدها الى أعمال البطولة . وما اشتهت المرأة العربية من لقب أحلى لديها من أن تلقب بالمنجبة أو أم الإبطال<sup>(٢٠)</sup>

ومع ذلك فإن مهمة تحريض المحاربين على القتال وبث الشجاعة في نفوسهم الى حد الموت لم تكن متروكة في الغالب الى وطنية المرأة العادية بل كانت بدلاً من ذلك موكولة الى نظام مميز كل التمييز نستطيع أن نسميه نظام المرأة المحرصة أو الباعثة على الظفر<sup>(٢١)</sup> وفي هذا النظام نرى امرأة من طبقة اجتماعية ممتازة تضرب في قبة لها تمثل بيتاً مقدساً لاله هذه القبيلة ، بينما نرى نساء آخر مختلفات العدد يصحبنها

(١٦) لامنس ص ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ( ١٧ ) المصدر السابق ص ١٥٢ ( ١٨ ) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٢٧ ، ومقال في مجلة الثقافة الاسلامية التي تصدر بالانكليزية عدد ١٣ ص ٢٩٨ سنة ٣٩ بعنوان « أوائل السابقات الى الاسلام »

( ١٩ ) المرأة في أيام العرب طبع لندن سنة ١٩٣٥ ص ١٣ ( ٢٠ ) مقالات في تاريخ العرب تأليف كوسان دي برسفال طبع باريس ، وتاريخ الادب العربي لنيكسون والاغاني ج ١٦ ص ٢٠ ( ٢١ ) جبير



ومن هؤلاء النساء تتكوّن عصبة مقدسة على مشهد ومسمع من الرجال المحاربين وقد يخضن معهم الغمرات من مبدئها يخضن الرجال ويغرينهن بالقتال وهنّ يغنين الأغاني الحمسة مصحوبة بعزف المزاهر

وزعيمة هذه العصبة هي المرأة المحرّضة نفسها وقد أرخت غداثها وكشفت عن بعض جسدها لتثير في نفوس الرجال البسالة والشرف والحماسة . وقد اجتمع الرجال حولها وحول النساء معها وحمي الوطيس الى أن يكتب لقومها النصر او الهزيمة

( روى الطبري ج ٢ ص ١٥٣ ان امرأة من بكر وقتت في واقعة ذي قار تحضض الناس بقولها

ان تهزموا نعا تق ونفرش الخمارق  
أو تهربوا نفارق فراق غير وامق )

ولا شك أن في مزاولة هذه الحرفة دلالة دينية قديمة محاطة بشيء من الغموض ، ولكن أثرها النفسي في نفوس المحاربين لا ينبغي أن يُغفل تقديره<sup>(٢٢)</sup> فان أسر هذه المحضضة — تبعاً لتقاليدهم في الحروب — معناه خسارة الموقعة . وما يترتب على ذلك من ازدياد النساء اللائي كنّ مبيكات في قهر المحاربين ! اما أسر بقية النساء فانه يعني استرقاقهنّ وهوانهنّ وفي ساعات الحرج ولحظات القنوط — كما حدث في واقعة ذي قار<sup>(٢٣)</sup> — يجمع الرجال بين أمرين : اما ان يعرّقبوا الابل الحوامل للنساء او يقطعوا وُضُنّ الهوادج وحزَم الرحال حتى يسقط النساء على الأرض وهذه الحيلة التي تعجز النساء في لحظة يتعرضن فيها للخطر الداهم — يقصد بها ان تبعد من عقول الرجال كل فكرة ترمي الى الارتداد او الهرب وكذلك ترى الرجال مضطرين الى القتال او الموت

وقد لعبت المرأة دوراً آخر خطيراً في أثناء المعركة وبعد انتهائها<sup>(٢٤)</sup> : — فكانت منهنّ جماعات أشبه بجماعات الصليب الأحمر خلف خطوط القتال . بينما كان أكثرهنّ شجاعة يتقدمن في وسط المعركة يحملن الماء ليسقين العطشى من الجنود ويضمدن جراحهم . وبعد انتهاء المعركة ترى النساء في الميدان وقد تناثرت فيه الأشلاء ، وامتلأ بالجرحى والساقطين من الاعياء ، يحملن عصياً وهرأوي يجهنن بها على المجروحين من أعدائهنّ حتى يسلمنهم الى النزع الأخير . وفي حالات قليلة قد يلجأ بعض هؤلاء النساء الى المثلة والتعذيب الوحشي وتشويه الاجسام ليسفين حقد نفوسهنّ الظامئة الى الانتقام<sup>(٢٥)</sup> .

(٢٢) لامنس ص ١٢٠ — ١٢٥ (٢٣) النقائص ج ٢ ص ٦٤٣ ، ولزيادة البحث أنظر جيير

(٢٤) جيير (٢٥) جيير



# مؤتمر الآلهة الثلاثة

لنقولاً الحداد

اجتمع الآلهة الثلاثة القيمون على انسان الارض لكي يبحثوا فيما بلغ اليه من الرقي ويروا ماذا يجب ان يفعلوا لاطراد رقيه . فقال زفس اله القوة — اله السموات والارض — : أنا وهبته الحياة لكي ينمو ويتكاثر . وقد علمت انه ملا الارض

وقالت مينرفا الهه الحكمة : انا وهبته العقل لكي يحسن تدريب الحياة في سبيل الرقي وقد علمت انه ظفر بسنن الطبيعة واعتقلها

وقالت استرايا الهه العدالة . أنا غرست فيه جرثومة الحق الالهي . وقد علمت انه ارتقى به حتى انه اخترع نظاماً جديداً للكون العام هو نظام الاجتماع

فقال مينرفا : لماذا تحسبن نظام الاجتماع نظام الكون العام ، ولا تقولين نظام الكون الانساني فقط ؟

فقال استرايا : لأن هذا النظام اقتبسته سائر الاكوان نظاماً فلكياً وجرت عليه ، وهي معتبطة به لانه وقاها من التصادم

فقال مينرفا : ان نواة نظام الاجتماع الفلكي هذا هي قوة الجاذبية . فهل الانسان اخترع الجاذبية يا ترى ؟

فقال زفس اله القوة : ان الجاذبية قوة الكون القصوى . وأنا الى الآن لم أعرف سر هذه القوة . فاذا كان الانسان قد اخترعها فيكون عارفاً سرها . فاذا هو قد تجاوز قوتي . ولذلك أسجد له وأطرح سيفي بين يديه

وقالت مينرفا : اذا كان الانسان قد عرف سر الجاذبية او اخترعها فيكون عقله قد تجاوز قوة عقلي وهبته اياه . واذن أسجد له وأسلمه صولجان حكمتي

وقالت استرايا : اذا كان الانسان قد ظفر بسر قوة الطبيعة القصوى فظفره لا يضمن لي ان حكمته قد بلغت حد الكمال



فقلت ميمزاً : سمعاً يا أخوي . لقد زودنا الانسان بنعم الحياة والعقل والخلق ، وتركناه يدير شؤون نفسه بقوى هذه النعم . ولقد هجرناه هنيئة من الزمن . غير أننا ان نعود الى الأرض ونفحص أحواله ونرى الى أي حد بلغ رقيه . فإذا وجدنا انه قد بلغ هذه الدرجة العليا من الرقي نقلناه الى كوكب أرق لكي يستمر رقيه فيه . وان لم يكن رقيه قد تم فلا بأس ان ننقل منه بذوراً ونزرعها في الكوكب الآخر فخذ الآخرون هذا الرأي وارفض المؤتمر على قصد تنفيذ هذه الخطة

\*\*\*

اجتمعوا بعد التفطيش والفحص لكي يتلوا تقاريرهم  
قال زفس : ما وصلت الى الأرض حتى استقبلتني سيدة اشتبهت بأني أعرفها ، وقالت : كنت انتظر قدومك  
قلت : لماذا ؟ وكيف عرفت اني قادم ؟  
قالت : انا لوسينا الهة النور وقد جئت لكي أرى ماذا جنى نوري على أهل الأرض وبالطبع أنت ...  
قلت : نعم جئت لكي أرى نتاج الحياة التي وهبتها للانسان . وانتظر ان أراه وقد نما وتكاثر وملا الأرض  
فقلت زميلتي ، لم يملأ إلا أوربا وبعض آسيا وقليلاً من القارات الاخرى . فالأرض لا تزال تسع عشرين ضعفاً من سكانها . ومادمت أنا أبعث اليها بنوري وحرارتي في امكانها أن تغذي مائة ضعف من بنيه  
قلت .. عجيباً . بحسب نظرية ملتوس يجب أن تكون الأرض قد امتلأت زوافرغت في سيار آخر عدة مرات منذ ستة آلاف سنة الى اليوم . فإذا دهى هذا الانسان حتى انه لم يملأ الأرض بعد ؟  
قالت .. هلمّ أظهِرك على ما دهاه

\*\*\*

وجلسنا في ممتزّه الى جنب انسانين أمامهما لوحة عليها أشياء لم أفهمها . فقلت زميلتي هذه العوبة يسمونها شطرنجاً . وهذه القطع التي عليها تمثل ملكين ووزيريها وجنودهما . وهما يتحاربان . فمن يقتل من هؤلاء يطرح خارج ساحة المعركة وكنت أرى المتحاربين يطرحون واحداً بعد الآخر الى ان بقي واحد فقط . فقلت : وما معنى هذا ؟



قالت : ففي الكلِّ إلاَّ واحداً بقي الملك له وحده . هكذا يفعل بنو الانسان الآن  
قلت : ويحهم كيف ذلك ؟  
قالت : تعال وانظر

ومضت بي الى مكانٍ على الارض حسبتهُ جانباً من جهنم اذ رأيت بضعة ملايين من  
الرجال في صفين يقذف كلُّ منهما نيراناً على الآخر . فقالت زميلتي : ما رأيتهُ في لعبة الشطرنج  
انما هو تمثيل لهذا الذي نراه هنا الآن . سيظل بنو الانسان يقتتلون الى ان يبقى واحد فقط  
يكون مالك الارض

قلت : تبّاً له ! ماذا ينتفع هذا الانسان الواحد اذا بقي جميع الناس وبقي الملك له وحده  
أنقاضاً وأطلالاً

قالت زميلتي : بالطبع هو يفنى أيضاً « وتعود الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة »  
وروح الله يرف على وجه المياه »

قلت : ويلاه ! لماذا فعل هذا الانسان الراقي هذا الفعل الجنوني  
قالت زميلتي : الجواب عند الهة الحكمة . هي المسؤولة

\*\*\*

عندئذ انبرت الهة الحكمة

قالت : نزلت الى الارض فاذا بي أرى نيراناً تسقط من الجو وتقذف من سطح الارض،  
ومن تحت الارض ومن البحر ومن تحت الغمر . فصرخت : « ويحي . هل ضللت الطريق الى  
الارض فساقني القدر الى جهنم ؟ »

واذا بالريخ إله الحرب يستقبلني ضاحكاً قائلاً : لبتكِ ضللت . ولت القدر ساقك الى  
جهنم . فكنت تجدينها هامدة . انما أنت في الارض الآن

قلت : ويحك اظن هذه ثورة جهنمية وهي فعلتك يا شرير  
فقال الريخ : لا يا سيدتي . أنت تعلمين اني لا أتبرع بل ألبّي الدعوة .  
دُعيت فاستجبت

قلت : عجباً . أي شرير دعاك الى هذه الفعلة الشنعاء

قال : ذاك الواقف هناك يشاهد المعركة

قلت : من ذاك ؟



قال : هو نصف إله ويسمى زاراوسترا الجديد ابن نيتشه  
قلت : وماذا يريد زاراوسترا الجديد هذا من هذه المعركة الهائلة :

قال : ندعوه ونستجوبه

استدعاه . فسأله : ماذا تريد يا هذا من جرّاء هذه المعركة الطاحنة التي يفني الناس بها بعضهم بعضاً ونحن قد زودناهم بكل ما ينميهم ويكثرهم ويسعدهم فلماذا جئت تشقيهم  
قال : لم أقصد أن أشقيهم . وإنما أريد أن يكون الانسان نصف إله ترشيداً له لالوهية كألوهيتكم . ولا يمكن أن يصل الى درجة نصف إله ما لم يتصف ببوتقة النار والحديد  
قلت : ويحك من قال لك انه بهذا التقتيل وهذا التدمير يتصفى ويرتقي الى الالوهية

قال : نعم . بهذا التقتيل يفنى الضعيف ويبقى الأقوى . نحن نريد انساناً متفوقاً تتسلسل منه سلالة متفوقة . لذلك استدعيت المريخ لكي يثير حرب التصفية  
قلت : تبّاً لك . من قال لك ان الحرب بوتقة تصفي الانسان فيفنى الضعيف ويبقى القوي ؟ اني أرى العكس . أرى ان الأقوياء يفنون أولاً والضعفاء يفنون أخيراً  
قال : ان دارون وبعض الفلاسفة قالوا ان تنازع البقاء سنّة في الاحياء ، ولا سيما في الحيوانات العجماء فالأصلح يبقى . وغير الصالح يفنى  
قلت : ولكن هذه السنّة ليست للانسان الاجتماعي المتعاون بل هي للحيوان الأعجم فقط  
قال : الانسان حيوان خاضع للسنّة نفسها  
قلت : ولكننا وهنأه العقل والحكمة لكي يخرج من حكم هذه السنّة ، ويتبدع سنّة التعاون والتضامن الاجتماعية . فأنت قد أفسدت هذا التدبير

قال : لا يا سيدي . لم يخرج العقل من دائرة هذه السنّة . بل بالعكس قوّاه جداً في عمل التنازع . فقد استنبط من وسائله وأدواته ما يتجاوز التنازع الحيواني الى الف دائرة وراءها . لم يستطع الحيوان أن يخاطب اخاه الحيوان من اوربا الى اوستراليا ، ولا ان يضغط على زر فتسير السفينة أو الطائفة من تلقاء نفسها بغير أن يكون فيها احد ، ويقذف قنبلة فتدك قلعة . ولسوف يستطيع الانسان ان يضغط زرّاً في اميركا فينسف جبال حملايا . هذه افعال عجيبة لا يستطيعها الحيوان . وإنما العقل الانساني استطاعها . هذا هو فضل العقل الذي وهبتموه للانسان يا سيدي

فنظرت في زميلنا المريخ كأنني استفهم منه كيف فعل العقل هذا الشر وهو اعظم هبة



وهبناها للانسان فقال . الجواب عند استرايا الهة الحق الالهي والعدالة ومصدر الاخلاق الصالحة

\*\*\*

عند ذلك تقدمت استرايا بوجه شاحب وهي مكفهرة من فرط الحزن والاسى وقالت ، أتأسف أن موهبة الخلق الصالح التي وهبت للانسان قد ذهبت سدئى . ضرب الانسان بها عرض الحائط . لم يزل هذا الانسان حيواناً شرساً على الرغم من انه ناطق عاقل ذكي . فهو كما قال زارواسترا الجديد يسير على سنة التنازع بمنتهى الشدة وقد استعمل العقل الذي وهبته إياه مिरثا الهة الحكمة سلاحاً للتنازع الحاد

فقال زفس : لا بد ان هناك قوة غريبة عنا أفست فيه عملنا . والا لكان قد ارتقى الى رتبة نصف الالهية . اعطيناه القوة الحيوية الفائقة والعقل السامي والخلق الصالح . فإذا يعوزه لكي يكون نصف اله ! ان طريقة زارواسترا في تمحيصه لكي يتطهر من الضعف ويصبح من القوة بحيث يدنو من رتبة الالهية ، هي طريقة خداعة لانها تقضي الى انقراضه لا الى خلق الانسان المتفوق . لا بد ان يكون زارواسترا الجديد هذا من طغمة شريرة أو انه مغرور مخدوع

فقالت استرايا : لا بد ان يكون من أبالسة جهنم او انه موجى اليه منهم وقد ارسل سفيراً الى الارض لكي يفسد الانسان ويمهد السبيل الى فتح الابالسة ملكوت الانسان واستعمارها

فقالت ميرثا . لهُو الرأي الارجح . فما الحيلة اذن ؟  
قال : أظن الرأي الامثل الآن هو ان نذهب الى سيدنا اله الآلهة ونستفتيه في الامر توطئة الى التماس معونته لنا في تطهير الارض من الابالسة الدخلاء الذين أفسدوا الانسان

فقالت استرايا : اجل اذا لم يتفق الانسان من هذا الفساد فعبتاً نعمل في ترقيته . اني أثني على اقتراح اخينا زفس ووافقت ميرثا ايضاً

\*\*\*

امتل الآلهة الثلاثة لدى اله الآلهة . وبسطوا له قضية الانسان . فما أمهلهم حتى يروا تفاصيلها . بل نفخ وتأفف غاضباً وقال : — الاجل هذا الانسان الحقير الفاسد لجأتم اليّ ؟



لقد ضقت ذرعاً بهذا الانسان منذ زمان وتركته يقضي على نفسه بنفسه . عندي من ادارة الكون ما يكفيني للاهتمام

فقلت مينرفا : ولكن المسألة تحتاج الى قليل من اهتمامك يا سيدنا . حسبك ان تطرد الشيطان من ملكوت الانسان فيطهر الانسان من الشرور  
فقال اله الآلهة ضاحكاً : ويحك . لو طردت الشيطان من مملكة الانسان لما بقي انسانٌ على الارض . لا يبقى الاّ ابالسة الجحيم

فاستغربوا هذا القول وقالت استرايا : كيف ذلك يا مولانا  
قال : لان الناس اصبخوا جميعاً شياطين . وأصبح الابالسة يستجيرون من شرور الناس ويضرعون اليّ أن اطهر الارض والجحيم من شر الانسان  
فبهتوا وقالت مينرفا : اذاً لقد قطعت الامل من اصلاح الانسان يا مولانا  
قال : نعم لم يعد لي في الانسان مسرة ولا مأرب  
قال زفس : لعلك يا مولاي اذا امتزجت منه حريته وجعلته لايسير الاّ بارادتك فلا بدّ ان ينصلح

قال : اذا فعلتُ كما تقول فلا يبقى لنا ذلك الانسان الذي أردته . لا يبقى بينه وبين البهيم فرق . فاتركوه وشأنه يهلك بعمل يديه

قالت مينرفا : اذا استمر على هذه الحال يفنى يا سيدي  
قال : فليفنى ، خير للكون ان يتطهر من هذه الخليقة التي اعدنا لها جميع وسائل الرقي وأفسحنا أمامها مجال حريتها ففسدت . وصرنا نخشى ان تتلوث سائر الاكوان بفسادها  
فقلت مينرفا : اذا فني هذا الانسان أفلا تخلق يا سيدي خليفة أخرى أصلح للبقاء والرقي منه

قال : لقد جربت هذه التجربة فأخفقت . فلا أعيد التجربة مرة أخرى

فقال زفس : ونحن ماذا نعمل يا سيدي متى باد معملنا ؟

قال : اجثوا عن صناعة اخرى لكم

فقلت : مينرفا . ألا تسلطنا على دولة الشيطان التي خربت مملكتنا لكي نعمل

في تقويضها

قال : بل اذهبوا . وقوضوا دولة الانسان لان دولة الشيطان جزعت منها . فاذا أرحم الشيطان من شر الانسان تاب ذاك عن شروره . واذا نجحتم في تقويض دولة الفساد عودوا اليّ فامنحكم أوسمة الشرف



# تأثير التحليق

في أجسام الطيارين

ان الحرب الجوية ، في ناحية من نواحيها ، مسبق بين قدرة الطائرات على التحليق في الجو ، وبين قدرة المدافع المضادة على قذف قنابلها في الفضاء قذفاً محكماً الى حيث تحلق الطائرات . فمن المشكوك فيه ان الطائرات كانت قادرة أن ترتفع في الحرب العالمية الأولى الى مستوى يزيد على ١٦ الف قدم . ومعظمها كان يطير قريباً من سطح الأرض . ولكن مدى المدافع المضادة للطائرات ودقتها في اصابة الأهداف ارتقيا ارتقاءً عظيماً . وكذلك قدرة الطائرات على التحليق في أطباق الفضاء . فكثير من الغارات الجوية الآن ، تلقى فيها القنابل من ارتفاع ٣٠ الف قدم ، وكثير من المعارك الجوية بين المطاردات البريطانية والألمانية دار على هذا الارتفاع أو فوقه . والخبراء يقولون ان هناك مدافع مضادة تقذف قنابلها الى ارتفاع ٣٥ الف قدم ، وانها تحكم رمايتها بأساليب تعتمد على الامواج اللاسلكية القصيرة

ولذلك نرى بين صناعات الطائرات الحربية اتجاهها عاملاً الى تعزيز قدرتها على التحليق في الجو . فالقاذفات الاميركية المعروفة بالقلاع الطائرة تستطيع أن تحلق الى ارتفاع لا تكاد تبلغه الطائفة الكبرى من المطاردات الألمانية . ففي وسعها من الوجهة النظرية — على الأقل — أن تغير على مدن أوروبا بغير أن تفقد طائرة ما منها . ولكن ذلك يكاد يكون متعذراً من الوجهة العملية ، لا لتقصير الطائرات ولكن لضعف الطيارين اذ لا غنى للانسان عن الهواء . وقد صنعت طائرات تستطيع التحليق الى مرتفعات ليس في طاقة الانسان أن يعيش فيها اذا بلغت أقصى حدودها من التحليق ، فدار النفوق الجوي على اختيار الرجال الذين يستطيعون التحليق بغير أن يتعرضوا لما يتعرض له غيرهم من أوصاب التحليق

وأهم العقبات دون التحليق هي البرد ، وتفتت فقائيع الهواء من الدم ، والحاجة الى الأكسجين . والثالثة أهمها . فعلى ارتفاع ١٥ الف قدم يعمل الطيارون غير المجهزين بأجهزة الأكسجين المخزون ، الى فقد يقظتهم وتفهمهم الذهني وسيطرتهم الدقيقة على جميع حركاتهم . وعلى ارتفاع ١٨ الف قدم يحيق بهم الخطر ، وبين ارتفاع ١٨ الف قدم و٢٤ الف قدم يفقدون الوعي وعلى ارتفاع ٢٥ الف قدم يحدث الوفاة في خلال ثلث ساعة الى نصف ساعة . وكلمات الأكسجين تنفع المجهزين بها وتقيمهم الى ارتفاع ٣٥ الف قدم وأفضلها الى ارتفاع ٣٧ الف قدم وأغرب أعراض هذه الحالة ، هي جهل المصاب انه في خطر . والواقع ان بعض المصابين أمل



الى المرح والغبطة وفقاً لتفاقم الخطر الذي يحفُّ بهم . ولعلَّ أبلغ وصفٍ لهذه الحالة هو أول وصف لها، وقد كتبه تيساندييه قبل سبعين سنة عندما ارتفع بمنطاد . وكان هو ورفاقه يملكون أجهزة تنجح لهم استنشاق الأكسجين المخزون عند الحاجة اليه ، ولكنهم لم يستنشقه لأن خفة الضغط أحدثت فيهم ضرباً من التمل فشحروا بحسن حالهم وهم في الواقع قوب قومين من الموت أو أدنى . فمات رفاق تيساندييه وبقي هو حياً يرزق ، فوصف حاله فقال : « على ارتفاع ٢٢٩٠٠ قدم أصبتُ بخدرٍ ومع ذلك دوَّنت في مذكراتي ما تراءى لي ولكنني لست أدري كيف فعلت . فلما بلغنا ارتفاع ٦٠٠ ٢٤ قدم كان شعور الخدر عجبياً . ولكنني مع ذلك لم أشعر بألم ولا أدركت اني في خطر . بل على الضد من ذلك شعرت بغبطة ، فقد كنا ماضين في التحليق وكنا مغتبطين بأننا نحلّق . وتولّا لي ضعف شديد على ارتفاع ٢٦ الف قدم فمجزت عن تحريك رأسي لرؤية رفاقي . ورغبت في أن أدعوهم ولكن لساني كان كأنة شلّ . ونجاة شعرت انني عاجز عن كل شيء وفقدت وعيي »

ان اعراض هذه الحالة الناشئة عن التحليق اشبه ما تكون بأعراض التمل . فيضعف البصر والسمع ضعفاً بيّناً وتتخدّر الحواس ويفقد المرء سيطرته على اعصابه . والتحول النفسي شبيه كذلك بالتحول النفسي الذي يصيب التمل ، فإما كآبة شديدة وإما ابتهاج وغبطة . وفي الحالين يعجز عن ادراك حقيقة حاله وتضعف قدرته على الحكم السليم ضعفاً متدرجاً ، وفي حالة الدهول التي تسبق الغيبوبة والموت قد يقهقه قهقهة هستيرية او يتملكه سخط مفاجئ

إن الغلاف الغازي الذي يحيط بكرة الأرض عمقه نحو مائة ميل وهو خليط من الأكسجين والنيتروجين والغازات النادرة ، ونسبة مقادير هذه المواد بعضها الى بعض في هذا الخليط واحدة لا تختلف باختلاف الارتفاع عن سطح الأرض . ولكن الضغط يتغير فهو يبلغ ١٤٫٧ الرطل على البوصة المربعة عند سطح البحر ، ويهبط الى ثلث ذلك على ارتفاع ثلاثين الف قدم . والواقع ان الأكسجين يدفع دفعاً في جدران الرئتين الى الدم ، عند سطح البحر بفعل ضغط الهواء ، ثم يوزعه الدم في الجسم . فاذا ارتفع المرء وخف الضغط نقص مقدار الأكسجين الذي يدخل الدورة الدموية عن طريق الرئتين ، واذا كان الارتفاع عظيماً جداً وخف الضغط كثيراً فاستنشاق أكسجين نقي يولد من الأجهزة لا يكفي لانقاذ حياة الطيار ثم ان ضعف الضغط له تأثير آخر ، فهو فقاعات من غاز النيتروجين وهذه الفقاعات تبدأ تتولد على ارتفاع ١٨ الف قدم في سائل الحبل الشوكي ثم تتكوّن في الدم على ارتفاع ٣٠ الف قدم . وهذه الحالة تشبه حالة الغواص عند ما يغوص ويرتفع فجأة . فاذا لم يخفض الطيار طائرته فقد يحدث تولد هذه الفقاعات فيه شللاً وقد تليه الوفاة . وربما أفضى خفض الضغط الخارجي على جسم الطيار الى تمدد الغازات في المعدة والأمعاء فيحدث تمددها اعتقالاتاً



في العضلات ولذلك يتجنب الطيارون الحربيون أكل الطعام الذي يولد غازات . وقد يدفع الغاز المتمدد الحجاب الحاجز الى فوق ، فيضغط القلب والرئتين ويحدث الانغماء . وهناك اصابات أخرى كأنه جار طبله الأذن أو صدادع شديد ناشئ عن انحباس الهواء في إحدى الفجوات العظمية في عظم الأنف والوجه او نوبات من السعال العنيف لأن الهواء اللطيف لا يكفي لقذف المخاط أو الأجسام الدقيقة من قناة التنفس

ولما كان ضغط الهواء هو الباعث على جميع هذه الأحوال فالحل الأمثل للمشكلة هو صنع الطائرة بحيث يكون الطيار داخلها وكأنه داخل حجرة على سطح البحر . أي ان تبتكر وسيلة لاحتاطة الطيار بجو يكون فيه الضغط الجوي طبيعياً . وقد جرب هذا الحل من وجهين . أما الأول فرداء يحيط الجسم بطبقة من الهواء المضغوط ضغطاً يعادل درجة الضغط على سطح البحر ، وفي أعلاه خوذة تحيط بالرأس والوجه . وقد صنعه أولاً ويلي پوست الأميركي سنة ١٩٣٣ واستعمله طيار إيطالي في سنة ١٩٣٨ فخلق الى ارتفاع ٥٦٠٤٦ قدماً . ولكن الرداء ضخيم وحركة مرتديه شاقة ، وبجال الرؤية أمامه من وراء زجاج الخوذة محدود ولا يستعمله جيش ما . أما الطريقة الأخرى فطائرة أحكم سد منافذها وجعل ضغط الهواء داخلها ضغطاً طبيعياً . وقد صنعت طائرات للركاب في الولايات المتحدة فثبت ان هذا الحل مستطاع من الوجهة العملية . ولكن هذا المبدأ لم يطبق في الطائرات الحربية لأن البناء على هذا الأساس يزيد الوزن وحركة المرواح اللازمة لتجديد الهواء تستأثر بجانب من الطاقة التي يولدها المحرك . وعلاوة على ذلك ، لم يكن ثمة ضرورة الى عهد قريب لتجهيز الطائرات الحربية بما يلزم لها للتحليق الى أكثر من ٣٠ ألف قدم

وأخيراً هنا مسألة البرد . فحرارة الجو على ارتفاع ٢٠ ألف قدم تبلغ ١٢٫٣ درجة تحت الصفر بالميزان المئوي . وعلى ٣٠ ألف قدم تبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر . وقد وجد ارمسترنج انه متى بلغ البرد درجة الصفر وأصبح الطيار مضطراً الى لبس القفاز الكثيف ، تهبط قدرة الطيار او كفاءته مقدار ٢٠ في المائة ، فإذا كانت درجة البرد ٤٠ تحت الصفر هبطت كفاءته الى ١٣ في المائة من أصلها ، وعندئذ يصاب على الغالب بكمية شديدة ، وتصبح مهمته بل حياته لا شأن لها في نظره . والملابس الكثيفة مهما تكن كثافتها لا تحميه كثيراً عندما تكون الحرارة تحت الصفر فصنعت ملابس تدفأ بالكهربية وهي تصلح لأعلى ارتفاع بلغه الطيارون ولكنها تستنفد طاقة ثمينة . وفي خريف السنة الماضية (١٩٤١) أوصت ادارة التكوين في الجيش الاميركي بصنع اثني عشر ألف ثوب من هذه الأثواب المدفأة بالكهربية . ولعل خير طريقة للتغلب على هذه المصاعب الآن ، هي طريقة اختيار الطيارين الذين يفوقون غيرهم في قدرتهم الطبيعية على تحمل الضغط الخفيف والبرد الشديد



# المدخل

الى علم الحيوان

للاب أنستاس ماري الكرملي

— ٢ —

٨ — الملاحظة السابعة : ما يظهر هذا الدرس من الفوائد ✽ الآن نذكر بعض الألفاظ التي اهتمدنا الى معانيها ، عند الرجوع الى معرفة أصولها . ومن غريب ما اتفق لنا الاهتداء اليه : ( العيقب ) و ( العيقوبة ) ، سمعناها في جبل لبنان . بجوار بيروت . فمنهم من أطلقهما على الطائر المسمى كوكو ، ومنهم من أطلقهما على المسمى بوماً أو ضرباً منه ، وقد وجدنا في اليونانية Kikubos تدل على طائرين : الأول هو ضرب من البوم اسمه بالفرنسية Chat-Huant وبلسان العلم Syrniun ، وعلى المسمى كوكو ، أي Cuculus والكلمتان العربيتان من كلام عوام أهل لبنان ولم نجدهما في كتاب عربي يوثق بعربيته . ولا جرم ان هذين اللفظين بوزنيهما الغربيين وصلا الى أبناء لبنان من عهد يونان وهذا من أجل غرائب بقايا اللغات المندثرة

ومما اهتمدنا اليه بفضل معرفة أصله ( العفد ) بفتح العين واسكان الفاء وفي الآخر دال ، قال في التاج واللسان : العفد ( بالضبط الذي ذكرناه ) الحمام بعينه ، أو طائر يشبهه والجمع عفدان . اه . والصواب انه طائر يشبه الحمام كل الشبه ، ولولا طول ذنبه لظنه الناس حماماً . أما الحقيقة فانه المسمى في لسان العلم بـ Sterna والكلمة يونانية من Apous-Apodos أي بلا رجلين ، لانه سريع الطيران ولا يكاد يرى واقفاً إلا في السدرة ويظنه الناظر حماماً في هيئته

وقد عرفنا معنى العرناس الذي يقول فيه اللغويون ، ولا سيما الليث في كتاب العين : العرناس كقرطاس هو طائر كالحمامة لا تشعر به حتى يطير من تحت قدمك ( قدميك ) فيفزعك كالعرنوس بالضم . فهذا كلام فضفاض لا يصف ما وراءه ، أو ما تحته من المعنى ، إذ يدل على ان كل من يعيش في داره ، أو في أرضه يشعر بطائر يطير من تحت قدميه . فهذا كلام يبين على ان هذا الطائر غير معين الجنس ، ويكون في أغاب البوت ، ويشمل كل ما كان



ذاجناحين ، وألف المكان أيّا كان نوعه ، أو جنسه ، فهو المسمى بالفرنسية Volaille وبالانكليزية Poultry فهو من اليونانية Ornis مبنى ومعنى . وإذا تَقَرَّت في كتب متون اللغة الافرنجية الى العربية لا تجد من ذكر هذه اللفظة العربية مقابلاً للفظة الاعجمية ، فالظاهر أنهم لم يهتدوا اليها . كما انك لا تجد في المعاجم العربية من بيّن هذا المعنى بياناً واضحاً جليلاً ، مُصَوِّراً لك الحقيقة كما هي . فهذا تَفْعُ درس الألفاظ الضادية الاستعمال ، والبحث عن أصولها الأولى

ومن أسماء الطير التي اهتمدنا اليها الشَّرْق «قال شمر : الشرق طائر بين الحدأة والصقر وفي السَّبَاب : والغاهين ، ولونه أَسود . قال شمر : وأنشد اعرابي في مجلس ابن الاعرابي :  
انتفجي يا أرنب القيعان وابشري بالضرب والهوان  
أو ضربة من شرق شاهيان

وهكذا فسَّرهُ وجمعه شُرُوق ، وهو من سباع الطير . قال الراجز :  
قد اغتدى والصبح ذو بريق بملحم احمر سودنيق  
أجلد أو شرق من الشروق

انتهى نقله عن تاج العروس بحروفه

والكلمة من اليونانية Kirkos بمعناه . وهي مفتوحة الاول في العربية مكسورة في اليونانية ، ولا عبرة في الحركات عند التعريب . فالصَّحْج مفتوح الاول في العربية ، وهو مكسور في العربية . والقِنْدِيل مفتوح الاول في اللاتينية وهو مكسور في العربية . والشَطْرَج مفتوح الاول في الفارسية ، مكسور في لغتنا وهكذا الى ما لانهاية له

والعراقيون يعرفون ( الخَرْب ) ككتف . وينسبون اليه حكايات شتى ، هي أقرب الى الخرافات منها الى الحقائق . وأما كتب اللغة فتذكر الخَرْب وزان السَّبَب ، وهو ذكر الجبارى . وقيل هو الجبارى كلها ، ذكر أكان أو أنثى . وهو لفظ ينظر الى اليونانية Arpe وقد قال عليه تومسن في كتابه Thompson الطيور اليونانية ، A Glossary of Greek Birds. 35 ان هذا الطائر مجهول أو خُرَافِيّ ، وهو عدو النورس ، وصديق الحدأة . وقد سمعت مثل هذا القول في بغداد ، وكنت صغير السن . ولا يزال العرب النازلون على دجلة والفرات يروون مختلف الروايات ، بخصوص الخرب ، وكل واحد يروي حكاية تختلف عن رواية صاحبه ، ولو يجمع ما يسمع منهم ، لتقوّم من ذلك رسالة ظريفة

ونحن لا نريد أن نمنع في ذكر ما ظفّرنا به من التحقيقات العجيبة ، عند البحث عن الألفاظ العلمية ، التي حققنا أعيانها بهذه الطريقة ، فهذا أمر لا يتم إلا في صفحات عدة بل في مجلد ضخم ، فاجتزأنا بما ذكرنا



٩ — الملاحظة الثامنة : لا يكتفي بعضهم بالمعرب بل يشوّهه \* لا يجتزىء بعضهم بالمعرب ، بل قد يشوّهه ، فيبتعد المصحّف عن الاصل ، ويتيه الباحث في موضوعه فيضل الطريق . هذه ( القُوقُنُس ) أو ( القُقُنُس ) ( بقافين ) فهي تعريب اليونانية Kyknos فتهم من أبقاها على ما هي ، ومنهم من ذكرها بصورٍ أخرى ، مثل : ( ققُنوس ) و ( قُوقُنوس ) . وهناك من اختلف في ضبط هذه المعربات الأربعة . ومنهم من جعل القاف الاولى فاء . ومنهم من عكس الأمر

وجاء من حذف من ( القوقنس ) النون والسين فقال ( القوق ) ومنهم من جعل القاف الأولى فاءً فقال ( القُوق ) والمعنى باقٍ على حاله ، وذكرها كثيرون من لغويينا العرب ، وبينهم صاحب لسان العرب ، وتاج العروس ، ، والدميري في حياة الحيوان ، وصاحب العباب أي الصاغاني . وغيرهم من اللغويين المحدثين بصور شتى ، ومن أراد التفاصيل في هذا الموضوع فليراجع مقالة العلامة كركلو نلسينو المستشرق الايطالي المدرجة في مجلة المجمع العلمي العربي ( ١٠ : ٧٥ وما يليها ) . ونقول مثل ذلك على الطائر الخرافي المسمى ( فُيْنَنَس ) Phoinix فقد نقل الى ( فَنَنَس ) و ( قَفَنَس ) والى تصحيفات لا تحصى وقد تكلمنا على هذا الاسم في مجلة الثقافة ٢ : ٩٩٧ وظنه بعضهم ( القُوقُنُس ) نفسه ، فهذا خطأ على خطأ ، اذ لم يميزوا بين الطائر الحقيقي والطائر الخرافي . ثم زادوه تصحيحاً ان سماه بعضهم ( القوقيس ) كما فعل القزويني وسماء ابن الفقيه ( بنجس ) فأين هذه المصحّفات من الحقيقة الخالية من كل تصحيف

١٠ — الملاحظة التاسعة : يجب ان لا تنقل اسماء الحيوان العربية عن المستشرقين الا بتحفظ عظيم \* . ليس المستشرقون في درجة واحدة من العلم ، والتحقيق ، والامعان في اللغة ، ففهم من هم من الدرجة العليا . ومنهم من هم من الدركة السفلى ، ومنهم من هم بين هاتين الدرجتين . ونرى كثيرين من الكتاب المعاصرين ينقلون عن الغربيين بدون أدنى تحفظ ، ولا تورع ، كل ما يجدونه من الالفاظ ، والاولضاع ، التي يدوّنونها سمعاً عن بعض عوام ديار الشرق ، فينقلون الينا من الاوهام ما لا يخطر لبشر ولو في الحلم . ونحن نذكر لك بعض الشواهد :

في مستنقعات العراق مالك حزين ، ارجواني الكون نسميه ( رُكَيَّوِي ) بضم الراء وفتح الكاف ، واسكان الياء ، يليها واو مكسورة ، فياء مشددة . وهي نسبة الى الركوة ، مصغر الركوة ( بتثنية الراء ) وهي رقعة تكون تحت العواصر ، تكون حمراء دائماً ، وحمرتها معروفة ، وحمرة هذا الطائر المائي تشبهها . ومن ذلك اسم . وقد سمع هذا الاسم ( جيزمن )



ورفاقه فكتبوها ( ارخياوي ) لانهم لا يستطيعون تمييز الحروف العربية بعضها من بعض ، فنقلها احد كتّاب هذا العصر ، بهذه الصورة ، ولم يتمكن من ان يعرف ان مثل هذا اللفظ لا ينطق به عراقي خلوه من مبنى عربي ، ومن معنى فصيح

ودونك شاهداً آخر يسطو على زرع العراق في بعض السنين ضرب من القمل ( وهو هوامّ تتلف الزرع وتقنيه ) ، يسميه بعضهم الرُقِيقَة ، تصغير الراقة ، وهي السلحفاة وسميت كذلك لمشايتها لهذه الدابة المائية ويلفظونها بأسكان الراء ولفظ القافين كافين معقودتين اي Rgégué ويلفظها البعض الآخر ( ركيجة ) اي Rgézé فأخذ بعض الكتّاب يكتبونها ( اركيجة ) بالف في الاول ، لعلمهم ، ان الالفاظ الضادية لا تبدىء بالسكان بل بهمزة وصل . وزاد آخرون ان قلبوا الهمزة عيناً ، وكتبوها ( عركيجة ) وهكذا كتبها الانكليز والهنود من علماء الحشرات ، وطبعوها بهذا التشويه . ولم يهتمم الا تحقيق اللفظ ثم نقلها عنها العراقيون انفسهم ، من أرباب الصحف ومؤلفي الكتب المصنفة في موضوع حشرات العراق الضارّة . فنشرنا مقالة طويلة في مجلة غرفة تجارة بغداد ( ١٤١ : ٥ الى ١٥٤ ) بينّا فيها تحقيق اسم هذه القملة ومترادفاتهما ، وكل ما يتعلق بها وأن اسمها العلمي هو Eurygaster وعندنا من هذه الشواهد ما يقع في كتاب ضخم قائم بنفسه ، فحسننا التذكير

❦ ١١ الملاحظة العاشرة : في لغتنا عدة الفاظ تقيد عدة حيوانات فلا يجوز ، حصرها في حيوان واحد ❦ يرى الأدباء المشتغلون بعلم الحيوان ان في لغتنا كلمة واحدة تدل على عدة حيوانات يختلف بعضها عن بعض . وهو امر لا يرى في سائر اللغى . ولما كان بعض المشتغلين بعلم الحيوان ، ممن درسوه في الديار الاجنبية ، وبلغاتهم الخاصة بهم ، لا يرون مثل هذه الاوضاع ، يحاولون ان يسيروا بالعربية كما يسير الاجانب بلغاتهم ومصطلحاتهم ، ونسي ادباؤنا ان مزايانا لساننا غير مزايائهم ، وان لغتنا هي مجموع لغى عدة قبائل ، فقد تدل الكلمة الواحدة على حيوان في قبيلة ، وتدل على حيوان آخر في قبيلة اخرى . وقد تتفق جميع القبائل على حيوان واحد ، للفظ واحد وقد يختلف المدلول حتى ليدل على حيوانين أو ثلاثة أو أكثر فيكون من الخطأ توحيد تلك المعاني ، ومن الخطأ ايضاً ان يقال : ان القبيلة الواحدة وضعت للفظ الواحد ما يدل على حيوانين في وقت واحد ، أو ثلاثة أو اربعة أو أكثر من ذلك . والذي سبّب هذا التشويش والارتباك ان اللغويين لم ينسبوا في دواوينهم اسم القبيلة التي كانت تستعمل اللفظ الفلاني بالمعنى الفلاني ، بيد ان العاقل يهتدي بسهولة الى اختلاف المعاني ، اذ من المحال ان تستعمل القبيلة الواحدة لفظاً واحداً ، لتدلّ به على حيوانات مختلفة ، ونحن نذكر هنا بعض تلك الالفاظ ( راجع ما كتبناه في الملاحظة الثانية )

❦ ١٢ الملاحظة الحادية عشر : قد تعرب الكلمة الدخيلة بصور شتى ❦ قد تعرب الكلمة



الدخيلة بأوجه شتى. إما لأن الواحد يحجل ما وضعه من سبقه ، وإما لأن الواحد لا يستحسن ما وضعه من سبقه ، أو لأن الكلمة التي وضعها من سبقه تخالف بعض الاصول العربية في احكامها فقد عرّب بعضهم اليونانية اوقيانوس ôkeanos بصورتها الاصلية أي (اوقيانوس) ، وربما قالوا بحر اوقيانوس . قال القزويني : « ان البحر الذي في مغرب المعمورة ، على ساحل بحر الاندلس ، يسمى البحر المحيط ، ويسميه اليونانيون اوقيانوس » وقد سماه بعض السلف بحر اوقيانوس . ومعنى الاوقيانوس المحيط قال صاحب تاج العروس في مادة (ك ب ر ت) نقلاً عن القزويني «... الكبريت الأصفر ، وان معدنه في الغرب في موضع بقرب بحر اوقيانوس » . وقد اختلف الكتاب في رسم هذه الكلمة الغربية فجاءت بصور مختلفة مثل : الاوقيانوس ، والاقيانوس ، والاوقينس ، والاقيانس ، والقينس (كزينب) وقد وردت في كتاب قصص الأنبياء لمحمد بن عبد الله الكسائي طبع ليدن سنة ١٩٢٢ ص ٩ ، وهذه عبارته : « ثم خلق الله سبعة أبحر ، فأولها اسمه بيطش ، وهو المحيط بالارض ، من وراء جبل قاف ، ومن وراءه بحر اسمه الاصم ، ومن وراءه بحر اسمه قَيْنَسْ » اه — والقاموس كما هو مذكور في جميع كتب اللغة ، والا فريدوس . ذكره البستاني في محيط المحيط في مادة (ف ر د س) ، وهذه عبارته : أفريدوس ، اسم البحر السابع المحيط بالارض ، او هو تحريف الاوقيانوس . « اه — ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وهو منقول عن فريتغ ، وهو مورده الأعظم . وفريتغ يقول انه نقله عن دساي De Sacy في ٢ : ٢٥٣ . وهذان المستشرقان لم يضبطا الكلمة . فالتقييد من المعلم بطرس البستاني وجاء فيه في كتاب عجائب البلدان وهو لعلي بن عيسى وهو من مخطوطات خزانة كفا هو « بحر محيط بالارض ، الا ان السفن لا تجري فيه ، لأن حواشي الارض مكفوفة هناك كف الثياب » (كذا) . وعقيون قال في القاموس : وعقيون كصهيون : بحر من الرياح تحت العرش فيه ملائكة من ريح ، معهم رماح من ريح ، ناظرين الى العرش ، تسبيحهم سبحان ربنا الأعلى ١٣ — الملاحظة الثانية عشرة : كيفية تعريب الكلمة الاجنبية في جميع لغات الدنيا ترى كلم ممدودة ومقصورة ، أي فيها حروف علة ممدودة ، وفيها حروف علة غير ممدودة . وقد وضع علماء اللغة السامية علامات لذلك حفظاً لسلامة اللفظ من تشويهه . وكان السابقون الى ذلك علماء اللغة العبرية ، فالارمية ، فالعربية ، الى غيرها . أما علماء اللغة اليافئية ، فانهم لم يضعوا مصطلحات لها . وهم يتلقونها ممن سبقهم ، وذلك لفظاً لا رسماً ، كاللغات القديمة من لاتينية ويونانية ، وسكسونية . وأما أرباب الالبسة الحديثة ، كالايطالية والفرنسية ، والاسبانية ، والانكليزية فانهم جاروا أصحاب اللغة القديمة ، لكنهم حاولوا وضع بعض العلامات . بيد انها لم تعم البلاد ، ولا العباد . فبقوا يتناقون تلك الاصوات من



باب الأخذ ، والسماع ، والتقليد لا من باب التقييد والتدوين . وإذا كان الامر كذلك ، فلا يحسن بمن ينقل الكلمة الافرنجية الى العربية ، ان ينقلها بحروفها كلها ، بل يراعي حروف المد ، وحروف القصر في الكلمة ، في رسم (الممدودة بأحرف علة) و (غير الممدودة بالحركات) ، لوجود هذه العلامات عندنا وخلوها من مبادئ الالسنة كما ألعنا اليه . فيجب اذن ان يرسم الكردنال والأسقف والمطران ، والبطرك ، كما رسمناها هنا ، لا كما يفعل بعضهم فيكتبها : كاردينال ، وأيُسُقُويُوس ، ومَستروبوليتانوس ، وباطريارخوس ، الى نظائرهما المخالفة لاصول النقل الى العربية . وهكذا يقال في علم الحيوان والنبات والجماد . فان كُتِّبَ هذا العصر ، من نقلة الألفاظ الافرنجية ، جاؤونا بمصطلحات تنوء بها الجبال لتقلها ، وتنفرد منها الطباع <sup>(١)</sup>

١٤ — لا يحق للشعوبية أن ينسبوا القصور الى العربية ❀ كنت أسمع — وأنا صغير — ان بعض الذين تلقوا العلوم والآداب في المدارس الاجنبية ، كانوا يقولون ان العربية لا تؤدي الرسالة العلمية التي تؤديها سائر اللغى الأجنبية . وهؤلاء الناس هم شعوبية يكرهون كل ما يتعلق بالعرب . ولو أنصفوا الجاروا والمستشرقين المعاصرين الذين يتعجبون من ان اللغة المصرية أدت خدماً عظيمة لا توصف في العصر العباسي — الذي يسميه بعضهم القرون الوسطى ، فان علماء ذلك العهد ، عالجوا جميع العلوم ، والفنون ، والصنائع ، حتى انهم لم يبقوا كتاباً يونانياً علمياً الا نقلوه الى لغتنا الضادية ، لا بل وضعوا بعض المصطلحات في البلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، والتصوف ، وعلم الكلام ، والفقه ومختلف الصنائع لم يتمكن الى الآن علماء الغرب من وضع مجانسات لها في لغاتهم . فهل يقال بعد هذا العربية مقصورة في آداء واجباتها ؟ —

زد على ذلك ان في اوضاع العرب ، ما لم يكن يظن انها في لغة مفسر . انظر كيف انك تجد فيها اسم (اليسر) وهو ألياك Yack قبل ان عرفه اهل الغرب . وتكلموا كلاماً طويلاً على القوق Kuknos قبل ان يطلق الغربيون لسانهم على هذا الطائر . وقد وصفوا العسر وهو الطائر المسمى بالكناري عند بعضهم ، قبل ان يضع له الافرنج كلمتهم المأخوذة من اسم جزيرة الخالدات . ونحن لا نريد ان يطول نفسنا في هذا الموضوع اكثر من هذا ، لأننا نكون قد تكلمنا في بحث تضيق فيه الصدور على غير جدوى  
هذا ما أردنا تبياناه والبحث طويل ذو شجون ، فاكتملنا بهذا القدر

(١) أشار الاب الكرمل الى وضع حروف عربية وعلامات ضبط جديدة للحروف العربية فتعذرت هيئة بعض الرسوم المقترحة للطبع



# فضائل الصلاة

## الصحية

للدكتور شوكت موفّق الشطي

### ب - إقام الصلاة وفوائدها الصحية

لا بدّ لنا قبل البحث عن فوائد الصلاة الصحية ان نعرّف الصلاة عند المسلمين وأنواعها وشروطها وحركاتها فالصلاة في اللغة الدعاء وفي اصطلاح المسلمين عبادة بدنية لا نيابة فيها أصلاً تتم بأقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة ، مفتاحها الطهور والوضوء وهي من أجل الاركان بعد الشهادتين . تنقسم الصلاة الى أنواع منها الصلاة المفروضة والصلاة النافلة وهي تشمل المسنونة والمندوبة أما أوقات الصلاة فهي خمس على كل مكلف وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء . ولا بدّ لصحة الصلاة من شروط منها الطهارة من الحدث وطهارة الجسد والثوب والمسكان حتى موضع القدمين واليدين والركبة والجهة ولها أركان منها القيام والركوع والسجود والرفع منهما

القيام — يفرض على المصلي أن يقف منتصباً معتدلاً الى أن يركع الركوع — هو انحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز بحيث يمكن مس الركبتين باليدين وكال الركوع أن يمد ظهره مستوياً ويجعل رأسه بأزاء ظهره وأن يسوي الراكع بين ظهره وعنقه السجود — هو مرتان في كل ركعة والحد المفروض في السجود أن يضع بعض كل عضو من الأعضاء السبعة الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : ( أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ، الجهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين ) ويشترط في السجود أن يكون على يابس تستقر جهة المصلي عليه . ويفرض على المصلي في الرفع من الركوع والرفع من السجود الاعتدال والطمأنينة . وقد فسر الرفع والاعتدال والطمأنينة هو ان يعود المصلي في الرفع من الركوع الى الحالة التي كان عليها قبل ان يركع من قيام او يعود مع طمأنينة فاصلة بين رفعة من الركوع وهوية للسجود واما الرفع من السجود الأول وهو المسمى بالجلوس بين السجودتين فهو ان يجلس مستوياً مع طمأنينة بحيث يستقر كل عضو في موضعه



ويجب ان تكون حركات الصلاة مرتبة الاركان بأن يقدم القيام على الركوع والركوع على السجود وهكذا بحسب ترتيبها الوارد في الحديث الشريف ( اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ) وللصلاة سنن منها رفع اليدين عند الشروع ومنها وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت سترته ومنها تفرج القدمين حال القيام بحيث لا يقرن بينهما ولا يوسع الا بقدر ومنها ان يضع المصلي يديه على ركبتيه حال الركوع وان تكون اصابع يديه مفرجة وان يبعد الرجل عضديه عن جنبه ومنها ان يسوي بين ظهره وعنقه في حالة الركوع وان يسوي رأسه بعجزه ومنها أن ينصب ساقيه وان ينزل الى السجود على ركبتيه ثم يديه ثم وجهه وبالعكس ذلك عند القيام من السجود بأن يرفع وجهه ثم يديه ثم ركبتيه ومنها ان يبعد الرجل في حال سجوده بطنه عن فخذه ومرفقيه عن جنبه وذراعيه عن الأرض ومنها الجلوس بهيئة مخصوصة ومنها الالتفات بالتسليمة الاولى جهة اليمين حتى يرى خده الايمن والالتفات بالتسليمة الثانية جهة اليسار حتى يرى خده الايسر . أما عدد ركعات الصلاة فسبع عشرة ركعة فرضاً و ( ٣٧ ) ركعة من وتر وسنة ومندوب ومستحب

فاذا أنعمنا النظر فيما مر رأينا ان على المسلم تخصيص مدة لا تقل عن ساعة ونصف الساعة للوضوء ولاداء الصلاة والقيام بحركاتها التي لا تكاد تترك مفصلاً من مفاصل الجسم المتحركة دون ان تحركه وتحرك معه معظم عضلات الجسم

ولا يخفى ان وظيفة العضلات لا تقف عند حد تحريك الاطراف وانتقال البدن من مكان الى آخر فحسب بل لها فعل أعظم وأهم وهو تأثيرها النافع في جميع وظائف البدن اجمالاً كفائدتها في الدوران والغذاء وحصول الحرارة البدنية الغريزية وهي كذلك هيئة بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوة الضرورية لأعمال الفكر

تعد الصلاة عملاً رياضياً عظيماً يدخل في زمرة الرياضة المعتدلة . ولا يخفى أن الانسان لا يكون حرّاً في أوقاته وعمله لذلك كان لا بد له من تنظيم رياضة او تمرينات خاصة به ليستفيد في وقت قصير أقصى ما يمكنه من فائدة

والصلاة بتوقيتها واعتدالها وما يسبقها من وضوء وطهارة وغسل أحياناً أفضل الرياضات لانها رياضة طبيعية تشبه بفتايجها نتائج الرياضة الغريزية او السويدية وتتوقها بانتظام توقيتها وتكرارها خمس مرات في اليوم فحركات الصلاة طائر غريزي في الرياضة وتأثيرها الحسن في العضلات والمفاصل والعظام وتنشيطها وعملها تقيد في المحافظة على



تناسق الجسم وجماله ولها مع ما يسبقها من وضوء تأثير مبهج مريح ومنشط وهذا فضلاً عن تأثيره الروحي العظيم

الصلاة فرض على كل مسلم عاقل تؤمر بها الأولاد شرعاً لسبع سنين . وهو الزمن الذي يبدأ فيه الولد يصرف جانباً من وقته للدراسة او لتعلم صنعة من الصنائع فتقل رياضته التي كانت قبل هذه السن غريزة فيه مع ان حاجته الى النوع المعتدل منها في هذا الزمن شديدة جداً فقيامه بالصلاة الذي يؤمر بها شرعاً في هذه السن تسد قسماً من حاجة جسمه الى الرياضة

ولا تقل الحاجة في اليقظ والمراهقة والبلوغ الى الرياضة عما في الاطفال والاولاد . وكذلك الامر في الكهولة والشيخوخة لذلك حشروا الرياضة بالصلاة في زمرة رياضات العمر . ويلاحظ الباحث ان المتروك بالصلاة كما جاء بها الشرع والمؤدي لها على أتم وجوها صحيح الجسم ، قوي الارادة ، حسن الاعتماد على نفسه ، جلدأ على الطوارئ أ كظم لغيظه وأضبط لنفسه عند الغضب او الخطر ويكون كذلك أحزم وأشجع وأعلى نظراً في الحياة كريماً محبباً للخير والنفع العام لان في الصلاة علاوة على الحركات البدنية النافعة معاني نفسانية جسيمة وتذكيراً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك فرضت الصلاة على المسامين طول الحياة ليروضوا بها اجسامهم ونفوسهم وليحسنوا بها ظاهريهم وباطنيهم في آن واحد . وللصلاة ايضاً فوائد خاصة علاوة على فوائدها العامة نجمعها فيما يلي : —

١ — صلاة الصبح : يكون اداؤها في وقت معين وهو من طلوع الفجر الصادق الى قبيل طلوع الشمس ويؤدي اداء هذا الفرض الى تعويد الانسان التبكير في اليقظة من النوم وتنظيف أعضاء الجسم المكشوفة وتنشيطها وتنبيه اجهزة النفس والدوران والاعتناء وتفتح شهيته الى استمرار طعام الصبح وسرعة هضمه وتدعوه الى تنظيم اعمال ذلك اليوم الدنيوية وتديرها بهمة ونشاط دون فتور وملل

٢ — صلاة الظهر : ووقت اداء هذا الفرض يبدأ من الزوال الى ان يصير ظل كل شيء مثليه فان أدت هذه الفريضة في بدء أو انهاء أذهبت عن الجسم ما لحقه من تعب في الجهد والعمل وأزلت عن النفس ما لحقها من غم وهم ونبتت جهاز الهضم وغيره من الأجهزة فزادت الرغبة في الطعام ومتى كان الطعام مأخوذاً عن رغبة وشبهة كانت فائدته للجسم أعم وأنفع . وان قام المصلي بأداء هذا الفرض في آخر وقته كان قيامه به داعياً الى تسريع هضم طعام الظهر عدا ما فيه من فوائد عامة

٣ — صلاة العصر : ووقت أداء هذه الصلاة من انتهاء زمن الظهر الى غروب الشمس



وتعرف هذه الصلاة بالصلاة الوسطى والأوامر بالمحافظة عليها كثيرة ولها من الفوائد الخاصة ان التكليف بادائها موقت لزمان يكون الانسان فيه منهمكاً بفكره وجسمه فان لم يروّض عن نفسه بتنشيط فكره وجسمه ولّد ذلك فيه بعض الاضطراب الذي لا يلبث ان يزداد مع الزمان . ويناسب وقت أداء هذه الصلاة وقت الهضم فيسرع بالصلاة وتيسر تطوراته

٤ - صلاة المغرب : وزمن أداء هذا الفرض بين غروب الشمس والشفق الأحمر وله من التأثير الخاص في الجسم واتمام الهضم ما لوقتي الظهر والعصر

٥ - صلاة العشاء : وزمنها من الشفق الأحمر الى الصبح فان أقيمت صلاة العشاء قبل طعام العشاء كانت منبهة للرغبة فيه وان أديت قبل النوم كانت مسرعة لهضم طعام المساء وعدا ذلك فان لحركات الصلاة الخاصة منافع جسيمة في كثير من الأمراض بدأ العلماء

يعرفون فضائلها ويوصون مرضاهم بها فالركوع بتقليصه عضلات البطن يقوي هذا الجدار ويمنعه عن الاسترخاء وينبه حركات الأحشاء والامعاء فيتخلص الشخص من ربة القبض الشديد الضرر . وأما السجود فيعرف طبيياً بالوضعة الركبية الصدرية يقلص عضلات البطن تقليصاً أعم وأشد ويحرك الحجاب الحاجز وينبه المعدة فيدفع ما بها ويخلصها من الوقوع في مرض التمدد الزعج ويبقيها من مرض بلع الهواء (aérophogie) الكثير المظاهر . وقد أصبح تنفع هذه الوصفة في مداواة بعض أمراض المعدة والوقاية منها أمراً ثابتاً ومدرسياً وللصلاة أثر ايضاً في ادامة راحة الفكر ولذلك قيمة كبيرة في صحة الجسم فان في الاستسلام بالصلاة لخالق السموات والارض القوي القادر على كل شيء الفعّال لما يريد أثراً في شفاء كثير من الامراض الروحية التي لم تعرف بعد لها تغيرات تشريحية تناسب مظاهرها وأعراضها . وربما كان سبب الشفاء بالايان والاعتقاد في مثل هذه الحوادث نشاط غدد صم كسولة وتنبيه فروع دقاق للعصب السمباتي الغريب التأثير الكثير الأفعال في الجسم والذي لم يسبر بعد غوره تماماً . ولم يكشف العلم عن جميع أسرارهِ وخفاياه . وباعتقادي انه ما من طبيب ممارس إلا وقد رأى خلال ممارسته حوادث شفاء لا يستطيع تأويلها بما عرف عن علم الطب حتى الآن وكان للايمان والاعتقاد أثر كبير في توجيه المريض شطر الشفاء

هذا ولا يسعني أن أختم هذا البحث دون أن أنبه الى بعض مقاصد الصلاة فليس المقصود بالوضوء والغسل والصلاة تنظيف الظاهر بالماء فحسب بل فيه أيضاً دعوة الى تنظيف الباطن من الأخلاق الرذيلة . وقد قصد الشارع الحكيم أن يغرس في الناس خلق نظافة الظاهر ليظهروا بواطنهم ويغيروا من قبيح أخلاقهم بالجليل منها . وفي الصلاة أيضاً اشرب القلوب بالحرية وتعويد المساواة والاخاء وتعويد النفوس الطاعة لمن يجب له الطاعة والسلام



## وعدة الكونه

للشاعر السكنديناوي بويزن

قراية مقدّمة لا أتخلّى عنها  
تربطني بكل ما يتنفّس  
انا ابن الارض والبحر والهواء  
أنشدت العواصف « السلورية » (١) الجشّاء هدهدي (٢)  
وفي أشكال دائمة التغيّر  
من شجر وطير ووحش  
كوّنت الأعصر الجاهدة شكلي

ان هذه الاسلاف الضخمة قد تركت  
من نفوسها العظيمة في نفسي ، نفحة  
تتحدى الموت . أنمو وأزهر كالشجر  
شاعراً بجذور ارضية ذاهبة في الأعماق  
تربطني بالتراب . ولكن مع فروعها الذاهبة في الفضاء  
ترتفع نفسي الى ملك النور والنهار

(١) العصر السلوري أحد العصور الجولوجية في الحقبة الاولى (القديمه الحياة) يليه العصر الديفوني (الحجر الرملي) فالعصر الكربوني (٢) هدهدت الام الصبي حركته او غنت له لينام



# اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

لحمود مصطفى الدمياطي

الغرض من وضع اصطلاحات علم النبات في لغتنا العربية إنما هو إيجاد لفظ عربي دقيق يقابل اللفظ الانجليزي أو الفرنسي الذي اعتمده في ذلك العلم ويؤسفني أنه لا يوجد في المعجمات التي بين أيدينا ما يمكن تسميته بالاصطلاحات النباتية بالمعنى العلمي الصحيح كما أن ما وضعه الباحثون في هذه الناحية إلى الآن — فضلاً عن قلته إذا قيس إلى اتساع نطاق ذلك العلم — ينقصه بعض الدقة في الاستقصاء ويعوزه التوحيد والاتفاق . ولا شك في أن وضع هذه الاصطلاحات حسبما ذكر وتداولها من شأنهما تيسير سبل الدراسة والبحث في هذا العلم وتحريره من عوامل الغموض وعدم الدقة في اداء المعاني الاصطلاحية . ولهذا رأيت أن أنشر تباعاً بعض ما اجتمع لدي من هذه الاصطلاحات على ما وسعته جهدي ليكون موضع النظر لدى الهيئات العلمية ذات الاختصاص من أساتذة الجامعة وأعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية وأساتطين الباحثين في هذا الباب ولا سيما الأمير الجليل مصطفى الشهابي والدكتور أمين باشا العلوف من رجالات القدر الشقيق وهما من يرجع اليهما الفضل في وضع كثير من هذه الاصطلاحات ونشرها في مجلتي المجمع العلمي العربي والمقتطف الأغر . ويهمني أن تتناول هذه الهيئات الموقرة والباحثون الفضلاء الاصطلاحات التي سأشرها بالنقد والتحجيص ناظرين إلى ما وضع ازاء كل منها من تعريف . أما الطريقة التي اتبعتها فيما تقدم فهي ردّ الألفاظ الاصطلاحية الانجليزية أو الفرنسية إلى أصولها في اللاتينية والاعربية للوقوف على مدلولاتها اللغوية في هاتين اللغتين ولمعرفة أصل اشتقاقها ثم الرجوع بعد ذلك إلى المعجمات العربية لاختيار لفظ يدل على المعنى المنشود فإذا تم لي ذلك بحثت معنى الاصطلاح من الناحية العلمية بالرجوع إلى كتب النبات ثم نقلته إلى العربية

وأرجو أن أكون بهذا قد وفقت لخدمة هذا العلم ولسد الفراغ الذي تشعر به المكتبة العربية والله الهادي إلى خير طريق



﴿ بيت الأكاروس ﴾ acarodomatium هو بيت صغير مهيئة بعض النباتات للأكاروس وهو جنس دُويّبات الحِكّة (الجَرَب) والحَجَن. والذي يستنتج الى الآن من ذلك ان هذه الأنواع من النباتات تدع الدويبات الآفة الذكر تأوي اليها وتهيء لها وقاء من هذه البيوت ليعيشا معا معيشة تضاييف <sup>(١)</sup> يتبادلان فيها النفع

﴿ التبخر المطلق ﴾ <sup>(٢)</sup> absolute transpiration (transpiration absolue)

هو ما تثبته التجربة من متوسط ما يفقده النبات من الماء

﴿ المَجْزُوم ﴾ <sup>(٣)</sup> abrupt, premorse (abrupt, e, f., mordu) هو الذي يظهر كأنه مقطوع من أسفله أو اعلاه. ومثاله الجذر المجزوم في النبات يكون أسفله منتهياً بغتة. كذلك الورقة المجزومة يبدو جزؤها العلوي كأنه ناقص بل كأنه مبتور بشفرة حادة كما في اوراق شجرة الزئبق <sup>(٤)</sup>

﴿ الانفجَاز ﴾ abjunction هو ان يتكوّن في طرف الحامل الغُبيّري <sup>(٥)</sup> حاجز فتتشأ معه غُبيّرة <sup>(٦)</sup>

﴿ الحسكة ﴾ acantha, spine, prickle (épine) هي الشوكة. ولفظة حسكة اي acantha بالاغريقية تجيء سابقة في الاصطلاحات المركبة مثل acanthocarpous ومعناها الحسكي الثمر و acanthoclados ومعناها ذو الفروع الحسكية

﴿ الحسكي ﴾ (épineux, euse, f., herissé, e, f.) acanaceous هو كل شائك من النبات. ويطلق على قسم (شَعَب) من النباتات الشائكة تكون أزهارها وبذورها رَأْساً كالحسك <sup>(٧)</sup>

﴿ التحليل ﴾ abstriction حالة عامة تشمل حالي الانفصال والقذف فيما يختص بالغيرة كما سيأتي بعد

﴿ الريشية الناقصة ﴾ <sup>(٨)</sup> abruptly pinnate, equally pinnate, paripinnate هي ورقة ريشية مركبة من وريقات منسقة على جانبي

(١) symbiosis واصطلاح يجمع فؤاد الاول اللغة العربية على تسمية هذه الكلمة « بالتكافل »  
 (٢) ويقال له « النتج المطلق » ايضاً (٣) اصطلاح الدكتور جورج بوست الجراح والنباتي الاميركي المشهور على مجذور بالذال وكلاهما واحد (٤) اسمها العلمي Liriodendron tulipifera L. وبالانكليزية tulip-free وبالفرنسية tulipier وفصلتها المغنولية Magnoliaceae  
 (٥) sporophore (٦) spore اصطلاح بوست على « غبيرة » ( واحدة تصغير الغبار ) واعتمد يجمع فؤاد الاول اللغة العربية لفظة « البوغ » ( ج . أبواغ )  
 (٧) اسمه العلمي Onopordon و Cnicus و Carduus وبالانكليزية thistle  
 (٨) اصطلاح بوست على كلمة « الريشية الشفعية »



ضلعها الوسطى (عَيرها) وليست في نهايتها ورقة فردية أو عطفة (عِرْ ناس) (١)  
كورقة شجر التمر الهندي (العرديب)

المُسرع (accelerator, activator (accélérateur, activant, e, f., )

هو اية مادة تزيد فعل الأنزيم

الشاذ aberrant كل نبات يتميز في بنيته بصفات تخالف الصفات الثابتة لجنسه أو نوعه

الشدوذ هو ظهور خاصية في نبات لا تنتقل بالتوارث الى نسله لسبب يرجع عادة

الى البيئة

التضاييف مع الأقاروس acarophily, acarophytism هو تبادل النفع بالتضاييف

بين النباتات والأقاروس كما تقدم في بيت الأقاروس

الطبقة الفاصلة absciss layer, abscission layer هي طبقة من الخلايا

البارنكيميية تنشأ في قاعدة رُجيلة الورقة (ذنبها) أو في قاعدة الفرع أو تنشأ دفينة في

النَجَب (القِلَف) (٢) فيتسبب عنها انفصال الورقة أو الفرع أو انفصال قشرة من النجب

عادم الساق acauline, acaulose (acaule) هو الذي يظهر كأن لا ساق له

كنبات زهر الربيع (٣)

الفاصل الشبيه بالفلين absciss-phelloid هو خلايا غير المستحيلة الى فلين

من الطبقة الفاصلة من النجب

الانفصال abscission هو التساقط المطرد لجزء من أجزاء النبات بسبب الطبقة

الفاصلة وهو أيضاً انفصال غبيرة فطر بانكسار جزء عقيم من الحامل الغبيري

القذف abjection هو أن تنقذف غبيرات الفطر من الحامل الغبيري

المَقْصَّر abbreviated لفظة تستعمل للمقابلة في وصف شيئين متجاورين

للدلالة على أيهما أقصر من الآخر. ومثاله الكأس المقصرة في الزهرة فهي أقصر من جارتها

انبوب التويج (٤) كما في زهرة حشيشة الرئة البحرية (٥)

القصور abortion هو نقص النمو في سيره الطبيعي أو نقص في النتائج ناشئ عن

نقص النمو

القاصي abaxial هو وجه (صفحة) الورقة — أو البتلة أو غيرها — الذي

لا يقابل المحور

(١) tendril (٢) bark (٣) اسمه العلمي Prinula وبلا نكليزية primrose (٤) اعتمد

مجموع فؤاد الاول لاداة المربية لفظة «النورة» للنويج و«الك» للأكاس و«النورية» للبتلة و«الكمية» للسيلة

(٥) اسمها العلمي Pulmonaria maritima



عريفة المقتطف

---

بيجماليون  
في الأدب العربي

---

لحسن كامل الصبرني



# بيجماليون

(١) في الادب العربي

لحسن كامل الصبر في

يحبُّ الفنان أن يعيش في الخيال أكثر من العيش في الحقيقة ، وأن يحيا في الوهم أكثر مما يحيا في الواقع ، لأن الواقع ، يصدمه ويصدم خياله . ولذلك يخلق له من فنه وعبقريته ، عالماً يختلف عن عالم الناس بعواطفه وميوله المتعالية المجرّدة عن طبيعة الحياة ، وغرائز الحياة . يخلق له هذا العالم ليفرّ إليه من الواقع ، ويستريح إليه من الحقيقة . فالمثال يرتفع في فنه عن مثاله الاصلي ليخرج به عن حقيقته في الوجود ، والموسيقي يرتفع بالغامه عن صوت الحياة المدوّي من حوله ، والشاعر يخلق له من مسرّات الحياة وآلامها جمرأ يعبر عليه الى العالم الذي يسمو على هذه المسرّات والآلام في طبيعتها الارضية وصورها الدنيوية . وما الرمزية في الأدب إلا دليل على فرار الفنان من الواقع الى الخيال ، ومن الحقيقة الى الظلال ليتوارى فيها من بهرة الحقائق ومن لفحة شمسها

وفي الأسطورة الإغريقية « بيجماليون » تصوير للقلق الذي يساور الفنان في حياته أمام المثل الأعلى المتجسّس له ، والذي يريد أن يرتفع إليه فتجذبه الحياة الى حقائقها وتردّه الى حظيرتها ، فيتجرع كأس الألم المرّة ، ليهب العالم بعده حلاوة إبداعه وتساميه . فان هذه الأسطورة لتروي لنا انه كان في جزيرة ( قبرص ) مثالٌ بارعٌ ارتفع الى الذروة السامقة في فنه هو « بيجماليون » ، وان هذا المثال لما رأى تهتك النساء في تلك الجزيرة قد بلغ حدّاً بعيداً من الانحطاط والتردّي في حمأة الخلاعة والذيلة ، عاف الزواج ، وكره هذا النوع من الحياة ، فأراد أن يسمو عليها وان يرتفع بخياله عما يعيش فيه جسده ، فاعتزل الناس الى فنه وعبقريته ، يستوحيهما أخذ آثاره ، وأروع آياته ، فابتدع تمثالاً من العاج لفتاة بارعة الجمال أحبها ، ووضع في صنع تمثالها كلّ روحه ، وكل ما



تحتلج به نفسه ، من مُثُل عليا ، فلما انتهى منه ، فُتِن به وهام هياماً شديداً بلغ حدَّ الرغبة في أن تنبعث في هذا التمثال روح الحياة حتى يدب ويسعى أمامه ويحيا معه ، فابتهل إلى إلهة الحب والحياة « فينوس » أن تحقق رغبته ، وتجيّب طلبته ، فأجابته الإلهة إلى أمنيته ، فما لبث أن وجد تمثاله العاجي إنسانة حية تناديه ويناديها ، فزوّجها ورزق منها « باخوس » مؤسس المدينة المعروفة باسمه في جزيرة قبرص

\*\*\*

هذه هي الأسطورة الإغريقية التي تصوّر لنا مدى هيام الفنان بفنه ، ومدى تعلقه بالوهم والخيال ، وفراذه اليهما من الحقيقة والحياة . وقد عالج هذه الأسطورة في الأدب الغربي الكاتب البيروثي « فنتوري غارسيا كالدرون » ، وكان من حسن حظ العربية أن نقلتها إليها مجلة « المقتطف » منذ سنوات ، ثم أعادت نشرها من جديد في المجموعة القصصية التي أخرجتها باسم « موكب الحياة » وقدمتها هدية إلى قراءها هذا العام ... كما عالجها أيضاً الكاتب الأيرلندي « برناردشو » ومثلت مسرحيته على الشاشة البيضاء

ولقد شاء كاتبان من كتاب العربية أن يسديداً بيضاء إلى الأدب العربي الحديث بأن يجعلوا من هذه الأسطورة مادةً لمسرحيتين جميلتين يعالجان فيهما حياة الفنان داخل إطارها . وكان من حسن حظ هذه الأسطورة أن يكون رائديها في العربية هذان الكاتبان الأستاذان توفيق الحكيم و خليل هندأوي ، فإن لهما من علو كعبهما في الأدب وبعده نظرهما ما يضمن لمسرحيتيهما البقاء . ولقد نشر الحكيم مسرحيته في كتاب ، أما هندأوي فقد نشرت مجلة ( المقتطف ) مسرحيته في عدد أغسطس سنة ١٩٤٢ ولم تنشر بعد في كتاب

وقد عالج كلُّ منهما موضوعه من ناحية ، واتجه كلُّ منهما في سبيله وجهة خاصة ، ونظر إلى الأسطورة بعين غير التي نظر بها الآخر . فكيف كانت نظرة كلِّ منهما ؟ وماذا كان اختلاف وجهتهما ؟ وما مدى التفاوت في ذلك الاختلاف ، ومدى ما وُفق كل منهما إليه في اتجاهاه ؟ .. هذا ما أحاول بحثه في هذا الحديث



لقد وضع توفيق الحكيم مسرحيته في أربعة فصول ، في حين جعلها خليل هنداي في فصل واحد . فالأفق في مسرحية الحكيم أوسع ، ولكن اتساع هذا الأفق اضطره الى خلق شخصيات متعددة ، والى خلق حوادث أخرى يحيط بها فكرة المسرحية ، وأن يدير فيها الحديث في موضوعات أخرى — وإن كانت تمس الحب والحياة والفن — إلا أنها كثيراً ما تطفئ على جوهر الفكرة العامة في أسطورة بيجماليون ، واضطره إطالة الحوار بين الإلهين « أبولون » و « فينوس » أن يجعل من هذا الحوار مناقشة فيها كثير من خلق الناس لا من خلق الآلهة وطبائعهم ، وإن كان اليونانيون قد جعلوا لألهتهم طبائع يشتركون فيها مع الناس ... فجعل الحكيم من سخرية أبولون بفينوس ومن سخرية فينوس بأبولون مواقف تنزل عن مرتبتهما . أما ما عدا ذلك فقد بلغ فيه الحكيم مرتبة الإبداع في إدارة الحوار ، وفي إبراز فكرته شيئاً فشيئاً

وفكرة الحكيم هي تصوير الحيزة التي تلازم الفنان ، والتعلق الذي يساوره فلا يهدأ ، لأن نظره يتبع الأفق كلما امتد ، فهو لا يرضى بما هو فيه ، لأنه يطلب ما هو أسنى ، فإذا ارتفع الى هذا وجد رغبته أسنى منه . . . وقد بدأ الحكيم مسرحيته دون أن يكشف الستار عن الفتاة التي أوحى الى « بيجماليون » صنع تمثاله ، ولكنه أطلعنا على أنه ابتدع تمثالاً ، وأن الناس يتحدثون عن غرام هذا التمثال بما صنعت يده . ثم يرى أبولون وفينوس معجبين بما صنعت يد هذا الإنسان الفاني ، ونسمع أبولون يقول : « هؤلاء البشر يا فينوس يمتازون عنا نحن الآلهة هذا الامتياز : في طاقتهم أحياناً أن يسموا على أنفسهم . أما نحن فلا نستطيع ان نسمو على أنفسنا . إن قوة الفن أو ملكة الخلق عند هؤلاء لقادرة أحياناً أن توجد مخلوقات جميلة ليس في إمكاننا نحن الآلهة أن نأتي بمثلها أو نجاريهم في شأوها لأنهم أحرار في السمو ، ونحن سجناء في النواميس »

ثم نستمع بعد ذلك الى ابتهالات « بيجماليون » الى « فينوس » أن تنفخ في تمثاله الحياة ، وما نلبث ان نراه مشدوهاً أمام التمثال وهو يسمع



تَشْدَهُ ويسمع نداءه إياه حين أجابت الآلهة أمنيته . ثم نرى الحياة قد بُثَّتْ في العاج طباعها الدنيوية ، فتهرب تلك الفتاة مع فتى الفنَّان ثم تعود إليه وقد عرفت مكانته من السمو ، وعرفت شيئاً عن حقيقة نفسها . ولكن الفنَّان المتطلع الحائر لا يرضى بما كان يتمنى أن يتحقق له ، فهو يرى أن الجمال الذي ابتدعه قد شوَّهته الآلهة بالحياة التي بعثتها فيه ، فجعلت منه حقيقة مدركة لا تفتقر في شيء عن حقائق الوجود ، تسري عليها طبائع الحياة وقوانينها ، تعمل ما يعمل الناس ، وتسير إلى الفناء كما يسير كل مخلوق ، فينقم على الآلهة صنعها ، ويصرخ بهم أن يردُّوا إليه عمله ويأخذوا عملهم . يردُّوا إليه فنَّه . يردُّوه إليه تمثالاً من العاج كما كان ...

فاذا أجابت الآلهة نداءه أحسَّ بعد ذلك الألم ، وأحسَّ الوحدة والفراغ ، وعادت طبيعته القلقة إلى ثورتها ونضالها . وإذا هو يرى هذا التمثال البارد الجامد قد فقد أمامه جماله الذي كان فيه ... لقد كان هذا الفنان يقدرُ الفنَّ ويراه أنبل من الحياة ، فما هو ذا يراها الآن أنبل من الفن . وإذا هو يعود إلى الأماكن التي اجتمع فيها بجالاتيا تمثاله عندما كانت الحياة تسري فيها ، يتسمع عبر الذكرى ولذة الحلم الضائع ، فلا يجد ما يملأ فراغ نفسه . وإذا هو أمام الوحدة القاسية ، وأمام الفراغ المفرغ يهوي على تمثاله يحطمه . وعندها ينتهي صراعه مع الفن لاستلاب مفتاحه وإملاكه المسلوب ، وصراعه مع ملكاته وغرائزه ، وصراعه مع المصائر والأقدار ، ثم ينتهي صراعه مع الحياة فتقلت من جسده

\*\*\*

هذه هي مسرحية توفيق الحكيم ، وهذه هي فكرته واتجاهها . وجمال هذه الفكرة منبث في حوارها ، وفيما أبدع لها الحكيم من فنِّه  
أما مسرحية خليل هندأوي فهي تصوير لما يجده الفنان من راحة في الوهم لا يستطيع أن ينالها في ضوء الحقيقة . وقد جرى فيها هندأوي على نحو آخر جعلها قريبة من بدء تاريخ الأسطورة ، فما هي ذي «جالاتيا» تلك الفتاة الفاتنة



التي صنع « بيجماليون » تمثالاً لها فأبدع صنعه ، وقد دعاها لتشهد حفلة إزاحة الستار عن تمثالها . ونسمع من حوارهما معاً . انه يعلن لها ان قد سلب من جسدها جسداً آخر أتقنه الفن ، وان هذا الجسد سيبقى له كلما شاء رآه . فتجيبه بأن هذا الجسد ترجمة مشوهة عنها ، لأنه لا ينطوي على ما تنطوي عليه أعماق نفسها ، فيرد عليها قائلاً : « إنه ليس بالجسد المجرد كما ترعمين . إن التماثيل لتعيش حياة أعمق من حياتنا ، إن الغرض الذي يضعه الفنان على فم التمثال ليمتد معبراً عن نفسه للطبيعة ما ظل قائماً إزاءها . إن « فينوس » المخلوقة من لحم ودم غدت رفاتاً مسحقة ، أما فينوس الرخامية فهي تتكلم كل يوم ، وتبعث من جلالها موجة كل يوم ... من هو الفنان الذي لا تحيا في رأسه فينوس الحجرية ؟ » ... ثم تخرج « جالاتيا » بعد أن تأس من رد الفنان عن هوى تمثالها ، وتتركه لوهمه

وفي المشهد الثاني نرى « جالاتيا » مع صديق لبيجماليون تتحدث معه عما حل بصديقه الفنان الذي جذبه الفن ، فيجيبها بأن ليس في الانجذاب من عار عليه . ولكنها ترد عليه بأن هذا الانجذاب جعله ينكر حقائقنا ، ويفلت من حياتنا ، ويفر من أيدينا . ثم تطلب اليه أن يسعى الى إنقاذ صديقه مما هو فيه ، وانها ترى أن لا بد من تحطيم التمثال ، فينهاها عن ذلك لأن نتيجة جنون « بيجماليون » ، ويرى أن هناك حيلة للإيقاظ تفش عن ذهنه ، هي أن « التمثال يجب ان يبقى ، ويجب ان نوهه بأنه يتحرك ، وأنه يحيا ، والحياة وحدها تطلقه من أوهامه » ... فنزل مرغمة على رأيه

وفي المشهد الثالث يأخذها هذا الصديق الى دار « بيجماليون » ليعمل على ما فيه إنقاذه ، فيجدانه محتضناً تمثاله ، وقد أغقت عيناه ، فيشير عليها الصديق أن تنسل فتختفي وراء التمثال ثم تجيب على الفنان عند ما يناجي التمثال حتى يحس أن الحياة قد انبعثت في التمثال كما يتمنى ، فتستعد « جالاتيا » لذلك . وعند ما يفتق الممثل من غشيته ويأخذ في مناجاة تمثاله ، ترد هي عليه نجواه ، فتستولي عليه الدهشة



ونسلم الحوار الجميل الذي يديره خليل هندراوي على لسانيهما، ونسمع «جالاتيا» تقول له وقد علمت مدى افتتانه بتمثاله، ومدى إثارة إياه عليها وهي الأصل فيه: «أخاف أن تثور الغيرة في صدر غادتك» فيجيب: «تلك لا أعرفها» فتقول له: «ولكن إذا حييت هل تستطيع أن تفرق ما بيننا إذا اجتمعنا معاً. ألسنا هي أنا، وأنا هي؟»

وعند ذلك يخرُصعقاً، فيسرع صديقه إلى التمثال فينتزعه من مكانه، ويشير إلى «جالاتيا» أن تقف حيث كان التمثال، فتقف وتهتف بالتمثال: «بيجماليون! أنا ابنة عبقرتك، إنني أحبك... تعال إليّ. لقد كسي الرخام لحمًا، واستحال الجمال الصامت جمالاً ناطقاً» فيتقدم إليها مدفوعاً بالوهم الساحر وبحلاوة انتصار فكرته. وفي سكرته ونشوته يهتف: «لن أرى لجالاتيا إلا وجهاً واحداً». فترد عليه: «ولن تراني إلا واحدة» ويلتفت صديقه إليها فينبئها قائلاً: «لقد أرسلت التمثال إلى منزلي. إياك أن تقصي عليه قصة ذلك. يجب أن يبقى على وهمه الذي لا يحيا بدونه. قد يكون هذا الوهم كل ما له في الحياة. إنك كنت وهمه، والفنان لا يحيا إلا في الاوهام»

\*\*\*

وهذه هي مسرحية خليل هندراوي، وهذه هي فكرته أيضاً. وجمالها كذلك فيما يدور به حوارها... ولقد رأينا من هذا العرض وجوه الاختلاف في اتجاه كل منهما، ومدى قرب أحدهما أو بعده عن ظلال الأسطورة، وما وُفق إليه كلٌّ منهما في عرض فكرته، وفي إبرازها جميلة ساحرة. وإن في هذه الأسطورة أسحراً يتجدد للخيال كل يوم، ويتجدد للعين المبصرة. وإن وراء أفقها لمعاني فاتنة تهتف بكل عبقرية خلاقة أن تتقدم لتذوق من فنسها ما تهبه الوجود نعماً عبقرى النشيد، وعبيراً من فراديس الخيال





# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## الحرب وتقدم العلم

الصناعي . وتستخرج من ماء البحر وغيره ، مقداراً من المغنيزيوم يفوق مائة ضعف المقدار الذي كانت تستخرجه في سنة ١٩٣٩ . وفي صناعة الطائرات تعد الآن وسائل لصناعتها ، تكفي لصنع عدد من الطائرات في سنة واحدة ، يفوق كل ما صنعتها منها في السبع والثلاثين سنة السابقة . وبارتقاء صناعة المعجائن الكيميائية والفلاتر الخفيفة وهندسة الطائرات ، غدا في الوسع الآن صنع طائرات تطير الى أوروبا وتعود بغير أن تحط حاملة حملاً نافعاً يبلغ عشرين طنّاً . وحجم هذه الطائرات يفوق أربعة أضعاف ، طائرات النقل الشهيرة المعروفة باسم « كليبر »

المغنيزيوم من ماء البحر

هذا في الجمل . ولكن دقق النظر قليلاً في موضوع الألومنيوم والمغنيزيوم . فالمشروعات التي أعدت — وما فتئت تعد — استجابة للمطالب الحربية — تكفي لاستخراج قدر من الألومنيوم في سنة واحدة ، لبناء عدد من مركبات القطارات يزيد ثلاثة أضعاف على جميع المركبات المستعملة الآن في الولايات المتحدة ، واستخراج هذا المقدار من الألومنيوم يقتضي استعمال طاقة كهربية تفوق ما كان يستهلك

يرى الدكتور تشارلز ستاين المستشار العلمي لشركة دوبون ده نور الاميركية ان المكتشفات العلمية الناشئة عن ضرورات الحرب ، ستنتفع الناس بعد ما تضع الحرب أوزارها ، نفعاً لا حدود له ، وان ما كشفه العلماء ولاسيما الكيميائيون في السنتين الاخيرتين ، يجعل سنة ١٩٤٠ وكأنها قطعة من التاريخ القديم . فالحرب قد حشدت في بضعة أشهر وجوهاً من التقدم العلمي والصناعي ، كانت لولاها تستغرق نصف قرن من الزمان . وكثير مما كان لا يدور في خيال ، قبل سنتين غدا اليوم حقائق واقعة

بين أمس القريب واليوم

خذ مسألة المطاط . فقد قضى العالم نحو قرن من الزمان قبلاً بلغت غلة المطاط الطبيعي الخام مليون طن في السنة . ومع ذلك فالولايات المتحدة تتأهب الآن لتحقيق مثل هذا القدر من الانتاج في سنتين ، وذلك بصنع المطاط ، من كحول النفط ، أو من القمح والجير

وسيلعب ما تنتجه من الألومنيوم في آخر سنة ١٩٤٣ سبعة أضعاف ما كانت تنتجه منه في سنة ١٩٣٩ . مع ان ما كانت تنتجه في سنة ١٩٣٩ لم تبلغه إلا بعد خمسين سنة من التقدم



بريطانيا ، احدى المعارك الحاسمة في هذه الحرب ، فان علماء الوقود والحركات الداخلية يعدونها أعظم تجربة من نوعها وأدق اختبار لأصناف الوقود المستعملة

فالكيميائي الذي يستطيع أن يستخرج من النفط الخام ، نوعاً من الوقود الخاص بالطائرات ، يفوق غيره في تمكينه الطائرة التي تتحرك به من السبق في الارتفاع ، والسبق في السرعة ، والسبق في المدى ، يكون قد أسدى الى أسلحة الطيران والى حركة النقل الجوي خدمة عظيمة . وبهذا المعنى كانت معركة بريطانيا ، في نظر بعضهم معمل تجارب لا يضارع

وفي هذا الباب من البحث ، تدلّ الدلائل على ان كيميائي الوقود السائل قد شقوا طرقاً جديدة ، من شأنها ان تجعل المحركات واصناف الوقود المستعملة الآن ، وكأنها بقايا عهد مضى

### عجائب برميل من النفط

لا . لا تشح بوجهك عن ذلك البرميل الوسخ من النفط الخام . انه يحتوي على الوف من المركبات الكيميائية . وكثيراً ما استهوى الكيميائيين وقتن لبسهم ، استنباط أصاليب تمكنهم من ان يصنعوا من هذا النفط ، كل شيء تقريباً ، تحت الشمس . إن لبنات البناء بين ايديهم في النفط ، وهي الايدروجين والسكرتون . فاذا اضافوا اليهما الاكسجين

منها في ١٩٤٠ في ٤٧ ولاية من الولايات المتحدة الثماني والأربعين . وبرغم ارتفاع أجور العمل وزيادة ضرائب الدخل هبط سعر الوحدة من الالومنيوم ٢٥ في المائة عما كان عليه سنة ١٩٤٠ . فالالومنيوم أصبح فلزاً في المقام الاول بين فلزات الحضارة الحديثة . ولكن قصة المغنيزيوم أبعث على الغرابة . فوزنه ثلثا وزن الالومنيوم وربع وزن الصلب . وكان الرطل منه يباع بخمسة دولارات في سنة ١٩١٥ وكان استعماله الى عهد قريب ، في البناء والصنع نادراً . ولكنه اليوم أرخص ، حجماً بحجم ، من الالومنيوم ، ويدخل في صنع الطائرات الحربية

أما المورد الاول الذي يستخرج منه الآن فهو أقدم موارده وأغناها أي ماء البحر وقد استنبط لذلك أسلوب كيميائي عجيب . فماء البحر يدفع بمضخات كبيرة قوية ٣٠٠ مليون جالون كل يوم ، في جهاز معقد التركيب ولا يستخرج من هذا الماء الآن إلا عنصر المغنيزيوم والبروم ، بالترسيب . ولكن في الوسع أن تستخرج من ماء البحر ما تشاء ، اذا أتقنت أسلوب الاستخراج ، لأنه يحتوي على مقادير كبيرة في مجموعها ، من كل عنصر ، وان كانت هذه المقادير ، في كميات محدودة من الماء ، لا تذكر وقد يتعذر تبليتها

معركة بريطانيا والوقود  
واذا كان القوادح الحربيون يعدون معركة



## الامونيا والعجائن الكيميائية

أما صناعة العجائن الكيميائية فلا تُحد آفاقها . وتركيب الامونيا بالضغط العالي، من المكتشفات الكيميائية العظيمة في هذا العصر، ومتى استقرت بعد الحرب على الأساس الصناعي الذي يسهل لها الآن في خلال الحرب، كان استغلالها في منزلة كشف قارة جديدة، بكر الموارد الطبيعية، وليست الأسمدة الكيميائية إلا مادة واحدة من عشرات المواد التي تصنع من الامونيا المركبة بالكيمياء

وفي معامل الكيميائيين الآن ما يشير، الى احمال صنع زجاج لا ينكسر ويظفو على وجه الماء، وخشب لا يحترق، ومادة كالصفيح مركبة من طبقات من الخشب وأخرى من العجائن فتصلح للبناء. والجوارب التي تصنع من الماء والهواء والفحم — وقد كانت من عجائب الفترة التي سبقت الحرب — ليست إلا مثلاً لما يحتمل امتدادها في ملابس الناس من هذه المصادر الرخيصة، من أهدية لا جلد فيها، الى شبك نوافذ لا سلك فيه، الى كريات آلات (بيل) لاحتوي على فلز ما

\*\*\*

نعم ان الانتاج الحربي الآن، يقتضي تحويل مقادير كبيرة من المواد الطبيعية، ووقف معظم أساليب الصناعة الجديدة، على الحرب . فالانتاج للتدمير . ولكن العالم ينتج غداً للبناء والانشاء

وغيره من العناصر، بالنسبة اللازمة، والكيفية المطلوبة، صنعوا كحولاً جديداً، أو أحماساً جديدة، أو سوائل مذبذبة أو عطوراً أو عقاقير أو ما تريد. وقد استنبطوا في العهد الأخير أساليب جديدة لتحطيم جزيء النفط بفعل الوسيط الكيميائي، ففتحوا الباب، لادخال النفط في ميدان صناعي، كان قطران الفحم الحجري مستأثراً به من قبل

## المطاط الصناعي من النفط

ومستقبل هذا التحول لا يحده خيال . فالمطاط الصناعي — وهو على ما نعلم ليس مطاطاً بل مادة جديدة تجمع مزاي المطاط، وتصلح لوجوه أخرى كثيرة من الاستعمال — يصنع الآن من «البوتادين» و«الستيرين» وهما مادتان تولدان بالتركيب الكيميائي من النفط . أي إن النفط يصبح بشيء من المداورة مطاطاً . ثم هناك مادة «الطولين» وهي من الأركان في صناعة «المتفجرات» وصناعة «الصباغة» وغيرها، وهي من المواد التي تستخرج من النفط

ويسهل على الكيميائي أن يستخرج من النفط مادة الاثيلين في ناحية، ومادة البنزين في ناحية أخرى . وهما من فصيلتين كيميائيتين مختلفتين . فكأنك تستخرج الحجر والماء القراح من زجاجة واحدة . أو كأنك تقدر لحم الخنزير ولحم الضأن من حيوان واحد



## المخترع نقولا تسلا

لعل نقولا تسلا Tesla الأميركي السري الأصل من أعلى المخترعين والمكتشفين منزلة في العلوم الكهربائية وما يتصل بها، من فنون الراديو والتلفزة. هذا الرجل في السابعة والثمانين من عمره الآن، وهو عليل يسكن

حجرة في فندق صغير بنيويورك. ولولا منحة تمنحه إياها الحكومة اليوغسلافية لاستعطى أو مات جوعاً، مع أنه الرجل الذي كان سبباً في إثراء شركات كهربائية عظيمة وهو لا يجني من مخترعاته ومكتشفاته ربحاً مالياً لأنه أباحها

## علاج مرض منيير بالفيتامين

روت مجلة الجمعية الطبية الاميركية، ان جماعة من الباحثين في مستشفى نيويورك وجامعة كورنل وضعوا تقريراً طبياً قالوا فيه ان الفيتامين المقاوم للبلاغرا المعروف باسم الحمض

النيكوتينك ناجع في معالجة مرض منيير، وهو حالة من اعراضها الدوخة وطنين الاذنين وأحياناً الصمم. وكان يعالج الى عهد قريب بعملية جراحية يقطع فيها عصب من الأعصاب

## الحمض النيكوتينيك والنياسين Niacin

وعلى ذكر الحمض النيكوتينيك، نقول ان هناك اعتراضاً على استعماله بهذا الوضع في تعزيز الخبز لمنع البلاغرا لأن غير العلماء يخلطون بينه وبين النيكوتين. ولذلك اقترحت لجنة علمية من المختصين بالموضوع — وهي

تابعة لمجلس الطعام والتغذية في معهد البحث القومي الاميركي — كلمة نياسين في الاستعمال العام محله ويحتفظ باستعمال الاسم الأصلي في الكتابة العلمية

## مصدر جديد لفيتامين A

نقلت مجلة سينس الاميركية، ان في دهن البال (الحوت) مادة تدعى كيتول Kitol وانها تتحول الى فيتامين A بتسخينها على ان تكون الحرارة ٥٠٠ درجة بمقياس فارنهایت وقد كانت هذه المادة تنبذ حتى الآن

عند استخراج فيتامين A من دهن البال. ولم تعلم صفتها هذه — أي قابليتها للتحويل الى فيتامين A — قبل الآن، لأن الحيوان نفسه عجز عن تحويلها. ومادة الكيتول هذه تكثر في دهن كبد البال (الحوت) وأصناف أخرى من أدهان السمك



## اشعاع غريب ينبعث من النبات

هي الوسيط في هذا التفاعل لانها تتيح طاقة الشمس في شكل يحدث التفاعل الكيميائي. فهذا التفاعل لا يتم بدونها لانها تستطيع ان تقتنص، بأسلوب لم يفهم بعد، من طاقة الشمس قدرًا يحدث الاتحاد. وهذا السكر البسيط المتولد من اتحاد ثاني اكسيد الكربون والماء يتحول لشاء ومواد نشوية ومواد زلالية وأحماضاً عضوية وأدهاناً وغير ذلك من مركبات النبات. وكثير من هذه المركبات غذاء للنبات نفسه أو للنبات غير الاخضر أو للحيوانات. ومنها ما يهضم ويمثل فيولد طاقة في الجسم، ومنها ما يخزن ثم تنطلق طاقته بفعل آخر، كاحتراق الفحم والنقط

ولكن القدر الذي تقتنصه حبات اليخضور من طاقة الشمس لا يستعمل كله في فعل التركيب الضوئي، على ما بين الباحثان مكليستر وميرز، وهما من علماء قسم الأشعة والاحياء في المعهد السمثسوني بوشنطن. وبعض هذه الطاقة تشعه الأوراق الخضراء وبعضه تألقاً (fluorescence) فكان جزيء اليخضور يهتز اهتزازاً يدفعه الى اطلاق ضوء مرئي. وقد دلت تجارب هذين العالمين على ان الضوء الذي ينطلق على هذا النحو، من أمواج منطقة الضوء الاحمر في الطيف ويبلغ مقدار ما يتحول اشعاعاً أحمر منبعثاً من النبات على هذا النحو عشر واحد في

تبعث الحقول والحراج الخضراء في الفضاء اشعاعاً عجيباً أحمر. ولكننا لانراه لان الضياء الاخضر المنعكس عن سطوح الاوراق الخضراء يحجبُه عن عيوننا. والعلماء لا يستطيعون ان يتبينوه إلا بأجهزة خاصة دقيقة الحس. على أن البحث الحديث أثبت ان دراسة هذا الاشعاع وثيقة الصلة بفهم افعال الاجسام الحية على سطح الارض

وليس يخاف ان الشمس هي المصدر الذي تستمد منه الارض ومن عليها وما عليها الطاقة اللازمة لكل عمل طبيعي او حيوي. وقد تؤخذ الطاقة مباشرة من الشمس كما تفعل حبات اليخضور (الكأوروفيل) في اوراق النبات، وقد تؤخذ مداورة كتوليد الطاقة من الماء المنحدر، وهو لم يرتفع الى رأس المنحدر الا بفعل حرارة الشمس التي بخرته ثم انعقد مطراً منهمراً ثم جرى نحو البحر

وتأثير اشعاع الشمس في حياة النبات والحيوان يبدأ في فعل التركيب الضوئي (Photosynthesis) فالأوراق الخضراء هي أكبر المعامل الكيميائية على سطح الارض وأعظم منتج لمواد الطعام، وأغزر مورد للوقود. وبفعلها يرتبط مصير الامم بل مصير الانسان نفسه على سطح الأرض. ففي الاوراق الخضراء يتحد ثاني اكسيد الكربون بالماء فيتولد من اتحادهما السكر. وحبات اليخضور



الضوئي . ولكن ما كان متعذراً قبلاً أصبح مستطاعاً الآن بفضل مكايستر إذ استنبط جهازاً دقيق الاحساس يتأثر بمقدار ما يمتصه النبات من ثاني اكسيد الكربون ، في أحوال شتى من الضياء والظلام . وبهذه الطريقة يستطيع الباحث أن يتبين التطور الحادث في التركيب الضوئي ، بالقياس الى التطور في ظاهرة التآلق

وبذلك يصبح مقدار ما يمتصه النبات من ثاني اكسيد الكربون مقياساً لمدى فعل التركيب الضوئي

المائة من الطاقة التي تمتصها حبات اليخضور إن رؤية هذا الاشعاع الاحمر مستطاعة لو كانت شبكيات عيوننا غير حساسة باللون الاخضر . أو اذا استعملت مصاف لونية تحجب اللون الاخضر . فعندئذٍ تحجب الاشعة اخضر من الضياء المنعكس عن أوراق النبات ، فلا يرى إلا الضياء الاحمر اليسير المنبعث منها

وظاهرة التآلق في النبات معروفة من عهد غير قريب . ولكن العلماء عجزوا في الماضي عن دراستها من حيث صلتها بالتركيب

### فصيلة عقاقير « السلفانيلاميد » والسل

نمو الباشلس تأثيراً يذكر . ولذلك لا يرجح أن ينجع العلاج بهما . ولكن شعاة من الرجا في هذا النضال ضد السل بدت من ناحية معهد مايو الطبي المشهور بشيكاغو من عهد قريب ، إذ علم ان الباحثين هناك استعملوا عقاراً آخر من فصيلة السلفانيلاميد يدعى « برومين » Promin فثبت لهم بعد التجريب والامتحان ان هذا العقار يقف سير المرض في حيوانات التجارب وقد كانت خنازير الهند . فأقبل الأطباء خلال السنة الماضية ، على تجربته في بعض المصابين من الناس ، ملتزمين الحذر الدقيق ، والنتائج التي أسفر عنها بحثمهم تبعث على الأمل ولكنها ليست حاسمة حتى الآن

بعد ما كشفت فصيلة عقاقير « السلفانيلاميد » وظهرت عجائب فعلها في شتى الأمراض ، تجددت العناية بالبحث عن عقار نوعي يفيد في علاج السل . وجربت عقاقير هذه الفصيلة

في مستشفى مونتيفيوري بمدينة نيويورك عولج فريق من المصابين بجرعات كبيرة من السلفانيلاميد ، فلم يتغير سير المرض فيهم تغيراً يذكر بفعل هذا العقار . واتجهت طائفة من الباحثين في كثير من المستشفيات ومعامل البحث الى التجريب المعمل ، فأضافوا مقادير كبيرة من السلفاتيازول والسلفاثيريدين الى مزدردعات باشلس السل فلم يؤثر هذان العقاران في منع



## الكابوك ( Kapok ) : ومزاياه النباتية والصناعية

بالبحر يبدو ذا تركيب دقيق جداً . وجله من شعر على شكل أنابيب وثقوب دقيقة ولذلك تجد هذه المادة دائماً ملامى بالهواء من كل جانب وهذا سبب خفتها وطفوها على وجه الماء

\*\*\*

بيد أن الطبيعة لم تغفل عن صون تلك الخاصية من التلف فجهزت ذلك النبات بمزايا سامية لكيلا تدخله المياه عاجلاً فتصيره كتلة قابلة للغرق ، اذ غطت خيوطه الدقيقة بمادة شمعية صيرتها غير قابلة لامتصاص المياه ثم جعلتها سريعة الجفاف بحيث لا تستهدف للتلف

والشجرة التي يؤخذ منها الكابوك ، تنمو في جزيرة جاوى وفي بلاد الهند الصينية وهي موطنها الاصلي . وهي تحتاج في نضجها الى زمن يتفاوت بين أربع وخمس سنين فقط ويستخرج الكابوك من الثمر الذي تحمله شجرته وهو شبيه بلوز شجيرات القطن

وطريقة حصاده من الغرابة بمكان وهي من المشاهد الخليقة بالعيان . اذ يهجم الوطنيون زرافات ووحدانا وفي أيديهم قضبان طويلة من الخيزران ليضربوا بها لوز الكابوك فيسقطوه على الأرض كما يسقط التفاح من شجرته

الكابوك أو الكهبوك ، والقابوق أو الكابوج — كما جاء في معجمات اللغة الانكليزية — شعر أوليف نباتي مسيك أملس ، خفيف جداً ، يغطي بذور نوع خاص من شجرة القطن الحريري

ويزرع شجره في شبه جزيرة الملايو . ويستعمل الكابوك في حشو الوسائد والتمارق ومناطق الانقاذ من الغرق ، وما إليها والكابوك نبات من نباتات جزيرة جاوى وهو من أنفع النباتات التي اكتشفت لانتاج الشعر النباتي (وهو على حد قول تجار القطن في مصر — قطن شعر أي محلوج) الصالح لنسج المنسوجات

وقد اتجهت اليه الانظار لمزاياه العجيبة كإداة صالحة لحشو الملابس الواقية من الغرق وأبرز صفاته خفته فالرزمة من الكابوك اذا ألقيتها في الماء أولاً طفت واستطاعت ان تحمل فوقها ما يعادل وزنها ٣٢ مرة واذا غطست في الماء ثلاثين يوماً ظلت صالحة لرفع ثقل يبلغ ٢٥ ضعف وزنها

والغليظ على خلاف ذلك لا تزيد خفته على خمس او سدس خفة الكابوك . وتظهر هذه المزية جلياً عند غرق السفن اذ يضطر كل راكب وملاح من ركبها وبحارتها الى الكفاح للنجاة من الغرق أو اي خطر ينتابها . وسبب هذا التفوق العجيب أن حرير الكابوك عند خضه



على المجاري الهوائية التي تتخلل شعر الكاپوك. فتمكن هذا العالم الفرنسي بعد سنين طويلة من الظفر بما عجز عنه الاولون وعدوه مستحيلاً. ثم وجهه همه الى غزل هذه المادة ونسجها منسوجات مختلفة فصادفته عقبات كأداء حمة فتغلب عليها بعقبرته وطول أناته

ومنها ان شعر الكاپوك خلاف الصوف أو القطن ليس له سطح خشن يجعل دقائقه المختلفة يشتبك بعضها ببعض ، فعالج هذا النقص بالوسائل الصناعية وهي تسليط حرارة عليه ذات درجة ملائمة فأكسبته الخشونة المنشودة فكان من بنات أفكار ذلك الفرنسي الخصب القريحة اختراع صمغ يلصق الشعر بعضه ببعض ليتاح انتاج الدرجة المرغوب فيها من درجات النعومة والخشونة المطلوبة للخيوط المراد استعمالها

ويوجد الكاپوك في أقطار أخرى من العالم عدا جنوب شرقي آسيا . ومن أشجاره أنواع مختلفة تنمو في المناطق الحارة من قارتي اميركا و افريقية . والكاپوك في الحقيقة ليس منافساً لغيره من المنسوجات لأن خصائصه الطبيعية وخفته البالغة جعلته مادة صالحة جداً لصنع ثياب الملاحين التي تستعمل لا تقاوم من الفرق

ومن أجل هذا عنيت الاميرالية الفرنسية كل العناية باستعماله لهذه الغاية

عوض جندي

أما الجاويون وهم أشد نشاطاً من غيرهم فكثيراً ما يتسلقون الشجر ويحنيون محصوله وقد جرت عادة الشعوب المتخلفة في كل مكان على أن تعهد الى الصغار والنساء في القيام بأشق الأعمال ومنها شق لوز الكاپوك واستخراج محتوياته بأيديهم ثم بسطها على الأرض ، وهي عادة من بلاط الاسمنت لتجفيف تلك المادة الصفراء الحمرية ثم يحيطون موضع التجفيف بالاسلاك لكيلا تطير الاليف حينما تهب عليها الريح فتستقر حتى تجفها الشمس . ثم توضع هذه المادة اللينة المرنة الخفيفة في اكياس لنقلها في السفن

ويعنى أشد العناية بتعبئة هذه المادة الناعمة في الاكياس ، لأنها اذا كبست فيها كبساً محكماً سحقته سحقاً لأنها سريعة العط فتفقد بعض مزاياها الطبيعية . وقد وسّع باحث فرنسي هو مسيو جان . م . ده سان رينيه M. Jean de Saint René نطاق استعمال قطن الكاپوك بابتداعه وسيلة لادخال هذا الشعر في صنع المنسوجات ، وكانت التجارب السابقة جميعها التي استعملت لندف شعر الكاپوك اسوة بالقطن قد أخفقت لأن هذه المادة ضعيفة جداً بحيث لا تحتمل الندف اذ يمزقها فتصير كدقائق الغبار

وتقضي طريقة هذا المخترع بتفكيك شعر الكاپوك ونفشه وتمشيطة . اما الباحثون السابقون فكانوا لا يعبأون بوجوب المحافظة





# مكتبة المقتطف

الصدیق أبو بكر

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل باشا — صفحاته ٤٠٨ من القطع الكبير — طبع بمطبعة مصر  
ليس لأمة من أمم الارض ما لامتنا من المواد السليمة التي تستطيع أن تشيّد بها  
بنيان تاريخها متيناً واضحاً رائع الجمال خالداً بالمفاخر على الدهر . ولم تتأخر أمة كما تأخرت  
أمتنا في تشييد بناء تاريخها معتمدة على مواد التي حفل بها تراثنا الثقافي ، فلم يغادر صغيرة  
ولا كبيرة من دقائق حقائقه إلا ترك لها أثراً يستعين به المؤرخ على مسيرة الحوادث كأنه من  
شهودها ، وعلى دراسة نفوس رجالها كأنما هو من معاصريهم بل من صميم بيئاتهم .  
وتاريخ الأمة دليل مطمئنها ، ومُوجّه قافلتها ، ومعيّن طريقها في الحياة . ومن أشعته  
تستنير مصابيح أملها في نهضاتها ، ومن عزومات قادته الاولين تتجدّد عزوماتها فيما تؤديه من  
رسالة ، وما تبتيغيه من سعادة وخير . وحسبنا من سلفنا ما تداركوا من أخبار ونصوص ،  
خفظوها لنا في أسفارهم كما يحفظ الآباء أمانات البيوت والأسر لمن يخلفهم عليها من بنين  
وحفدة . وكان على من رأى منّا تأثير التاريخ — تأليفاً وتدریساً — في بعث الأمم المنجبة  
وايقاظ نجابتها ، أن يسألوا أمتهم بهذه القوة الادبية العظمى في هذا الدور المحزن من  
أدوار ضعفها وذبذبتها وأمراضها الخلقية والقومية والاجتماعية . ولا يستطيع أن يضطلع بهذا  
العبء إلا المؤمن بهذا التاريخ ، الضنين بمفاخره ، المعترف بأخطائه ، المقارن تصرفات رجاله  
وظروفهم بأشباهها ونظائرهما في هذا العصر وفي كل عصر ، وهو — مع ذلك — يميز بين  
الروايات المنقولة عن أهل الأمانة والعدالة والفهم وصادق الاطلاع وبين الروايات التي تنقل  
عن أهل الرقاعة والهوى والملك والجهل ، ويعرف من خصائص الأمة التي يدون تاريخها ما يجعله  
ناقب النظر صادق الفهم يصيب أهداف الحق في أكثر أحكامه

تاريخنا لم يكتب بعد . هذه حقيقة محزنة ، ومما يزيدنا حزناً أننا لا عذر لنا فيما أبطلنا  
به من كتابة تاريخنا ، لأن أسلافنا خلفوا لنا من مواد ما تمنى أرقى الامم أن لو كان  
لها من مواد تاريخها وأسانيده مثل ذلك أو بعضه . ومن أسباب تأخرنا في النهوض بهذه المهمة أن  
الذين فهموا منا شروط المؤرخ وما يجب عليه تنفقوا ثقافة أجنبية فنشأوا أجانب عن تاريخهم ،



والذين تثقفوا ثقافة عربية - كالأزهريين - لما يتمسوا بكتابة التاريخ على النحو الذي يبعث فيه الحياة ويعرض أحداثه نابضة بالحركة والقوة كما تعرض الصور المتحركة على الشاشة البيضاء أقول هذا في صدّد صدور كتاب جديد للدكتور السيد محمد حسين هيكل يؤرّخ به حقبة من أدقّ حقب تاريخنا وأروعها وأعظمها خطراً وأثراً ، وهي الحقبة التي تولى فيها قيادة هذه الامة ( الصديق ابو بكر ) كما أراد الدكتور ان يسميه في عنوان هذا الكتاب الجديد أو كما أراد ان يسمي به كتابه . فأقول بلا تحفظ ان هذا الكتاب أمتن مؤلفات هيكل باشا وأجودها ، وقد هضم موضوعه من المصادر المحدودة التي اعتمد عليها ، وسائر أحداثه حتى كأنه كان فيها أو معها . ولا أزعج أنه بنى به هذا الجزء من تاريخنا ، فان صرح تاريخنا لما يُبَيّن بعد ، ولكنه أجود ما ألفه المعاصرون للنشء المعاصر ، وسيستفيد منه هذا النشء ما لا يستفيد من غيره

وكان يكون عمل الدكتور أتم وأجود لو أنه كان أسخى في تنويع مصادره ولا مميّا قريب التناول منها كالبداية والنهاية لابن كثير ، فقد كان من حق كتابه عليه ان يرجع الى هذا المصدر العظيم حتى لو كان مخطوطاً غير مطبوع ، فكيف به وقد طبع . وكان يكون عمله أتم وأجود لو لم يعتمد على مصادر واهية ككتاب الامامة والسياسة ، فهو لقيط مجهول النسب ، وابن قتيبة بريء منه ، ولم يذكر له مترجموه كتاباً بهذا الاسم ، وأسلوب القول فيه يخالف أسلوب ابن قتيبة في كتاب المعارف وفي سائر كتبه ، والكتاب يشعر بأن مؤلفه كان بدمشق وابن قتيبة لم يخرج من بغداد الا الى الدّينسور ، والمؤلف يروي عن ابني ليلي وأبو ليلي كان قاضياً بالكوفة قبل مولد ابن قتيبة بخمس وسنين سنة ، ونقل خبر فتح الاندلس عن امرأة شهادته وفتح الاندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة ، ويذكر فتح موسى بن نصير لمراكش وهذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين بعد ابن قتيبة بمائتي سنة . فككتاب الامامة والسياسة لا يجوز لمؤلف ان يجعله في مصادره

وعلى ذكر المصادر نقول ان كتاب هيكل باشا كانت تزدد محاسنه لو انه التزم العزوف في المواضع المهمة الى مصادرها ، خصوصاً عند اختلاف الروايات ، فالروايات تختلف باختلاف أقدار روايتها ، ولا نعي المؤلفين كالطبري وغيره بل نعي من يروي عنهم الطبري وغيره من الرجال . فقد يروي المؤرخ الواحد روايات متفاوتة عن رجال متعددين قياماً بحق الامانة ، وهؤلاء الرجال يتفاوتون كما يتفاوت من نعرفهم من معاصرينا الاقربين ، فالخبر الذي يرويه أحمد تيمور باشا مثلاً لا يعدله الخبر الذي يرويه الشيخ التفتازاني ، وهكذا الناس في كل زمان ومكان . وعلمائنا الأقدمون ألفوا كتباً خاصة ببيان أقدار هؤلاء الرواة ، فتعين اسم الراوي عند اختلاف الروايات عظيم الشأن في الموازنة بينها



وفي الفصل الحادي عشر طرق المؤلف موضوعاً ذهب فيه الى أن احتفاظ عرب الشام وعرب العراق بخصائصهم وبحياتهم وبلغتهم العربية كان من الطلائع التي مهدت للفتح العربي والامبراطورية الاسلامية . وليس معنى هذا ان دولتي فارس والروم لم تحاولا استخدام المتصلين بهما من العرب في مقاومة النهضة التي انبعثت من الجزيرة العربية ، بل معناه أن عرب الشام وعرب العراق كانوا أقدر على فهم حقائق الدعوة الجديدة وإدراك مراميها ، ويأتي بعدهم سكان البلاد الاصيليون في فلسطين وسوريا والعراق ، فانهم آراميون وفينيقيون وكلدانيون ، وهذه الامم سامية ، وقد ثبت اتصال أصولها بالاصول العربية ، بل تمكن المحققون الاوربيون والاميريون من تعيين أزمان هجرتهم الى العراق والشام من جزيرة العرب نفسها ، فالعقيلة السامية كانت سريعة الفهم لمرامي النهضة التي انبعثت من جزيرة العرب ، وكان من أثر استجابتها لهذه الدعوة أن بادرت الى تعريب ألسنتها لما بين العربية والآرامية والفينيقية والكلدانية من أواصر القربى ووحدة الاصول ، يضاف الى ذلك أن هذه الامم كانت برمة بظلم الدولتين المتغلبتين . فلما طلعت عليها القومية العربية بأخلاق رجالها وعدالتهم وصفاء فطرتهم وسمو دعوتهم وبمثلهم الانسانية العليا كانوا أسرع استجابة لذلك من العناصر الاخرى . واعتبر ذلك بما كان من اهل حمص عند ما شعر الفاتحون العرب بان الروم تجهزوا في الشمال بحملة لا تقوى على صدّها الحامية العربية المقيمة في حمص فقررت الانسحاب ، وقبل ان تنسحب دعت اعيان الاهالي ورجال دينهم وعرض عليهم قائدها ان يأخذوا ما كان جُبي منهم من أموال الجزية ، وقال لهم اننا نأخذ الجزية في مقابل حمايتكم ، وقوتنا المحلية لا تقوى على حمايتكم فلا يحلّ لنا أن ننسحب واموال الجزية معنا نغذوها وتمهدوا لنا بأن تردّوها الى اصحابها فأجابهم هولاء الاعيان : والله ان الروم لو انهم جبوا منا الاموال الاميرية واضطروا الى مثل ما اضطرتهم اليه لما أعادوا الينا ديناراً واحداً مع ما بيننا من وحدة الدين ، وان حكومة يكون فيها هذه الرحمة وهذا الانصاف لا نرضى بها بديلاً ، ونحن مستعدون لأن ننضم الى جنديكم وان ندفع حملة الروم بكل من يستطيع منا حمل السلاح وحسبنا مقياساً لاخلاق العرب في تلك الحقبة ما ذكره هيكل باشا في ص ٢١٠ من أن همر أقام عالماً كاملاً على قضاء المدينة — وكانت العاصمة، وكانت تجهز منها الجيوش ، وهي تعج بالناس من حضر وبدو — فلم يختلف اليه متقاضيان ، ولا لظن هذه المنقبة مما امتازت به مدينة أخرى على ظهر الارض في عصر ما من عصورها

وهذا الجانب من خصائص الامة العربية في ذلك العصر كان يمكن أن يكون منه مادة غزيرة يتألف منها الجواب على سؤال المؤلف في ص ٣٦٧ : « لماذا كتب القدر الحكيم منذ الأزل في لوحه فاصطفى الله نبيه الكريم من شبه جزيرة العرب دون غيرها من ارجاء العالم ؟ »



فان الجواب على هذا السؤال يجد الحبيب عليه في خصائص الامة العربية وصفاء فطرتها ومثانة أخلاقها ما يملأ مجلداً ضخماً يتجلى فيه بعض حكم الله في اختيار الاسلام من هذه البقعة التي برهن أهلها على صفات لا يعرفها التاريخ مجتمعة في غيرهم

ويوم تتحقق نبوءة برنارد شو التي ذكرها المؤلف في ص ٣٧٤— ولا أعتقد أنها تتحقق الا برجوع العرب الى أنفسهم واضطلاعهم برسالتهـم— فيومئذ يكون بلوغ الضمير الانساني فضجه أدنى مما نظر اليه هيكمل باشا بعين التشاؤم حيث رآه محتاجاً الى عشرات الاجيال ومثاتها، فالمعجزات التي اعتاد التاريخ العربي أن يفاجئ بها الانسانية بها يحتمل ان تعيد نفسها مرة أخرى اذا عرف العرب كيف يؤهلون أنفسهم لمثلهم العليا بالرجوع الى أخلاق سلفهم الأولين ولما وصلت في تلاوة كتاب هيكمل باشا الى الفصل السابع عشر الذي عقده لحكومة أبي بكر خفت عليه أن يسلك طريقاً سبقه الى سلوكها آخرون ولا أحسبهم إلا ندموا ، فرأيت أنه يتخطى الموضوع بخطوات بلغت الغاية في السداد . نعم انه كان قد ذهب في ص ٧٥ الى انه « لا محل للقول بأن لولاية الامر في الاسلام نظاماً مقررأ » ثم عاد في ص ٣٢٨ فردد مثل هذا القول ، إلا انه لا شك في انه انما يعني شكل الانتخاب في السقيفة ، أما أن نظام الحكم في الاسلام مقيد بمبادئه التشريعية ، وان هذه المبادئ ضمنت للانسانية أسس معاني العدل وحرية العقيدة وحفظ الحقوق ، فذلك ما برهن عليه مؤلف سيرة (الصدیق أبي بكر) بأقوى البراهين وأصرحها

وتعرض في فصل قبل هذا لتاريخ جمع القرآن ، وكان من حق هذا الفصل أن يكون من وجهاته الفنية في غير هذا الكتاب ، وان يكتفي عنه باجمال وجيز ، ولا أنكر أن المؤلف أحاط منه بكل ما أتت عليه مصادره فوافها حقها من البيان ، لكن مثل قرائه كانوا في غنى عما اضطر اليه من تفصيل وإسهاب

وتعجل المؤلف في ص ٣٤٣ بالكلام على الحكم في زمن عثمان وما بعده ، ولو أنه انتظر حتى يكتب لنا تاريخ تلك الأدوار كما كتب لنا تاريخ زمن الصدیق فلعل ما يكتبه يومئذ يكون أسد وأحكم

وفي الكتاب أخطاء في ضبط بعض الأعلام ، وفي خريطة الكتاب كتبت ( بنو ) فلان برسم ( بني ) في عشرات المواضع ، وكان ينبغي ان ينزه كتاب معتنى به كهذا الكتاب عن مثل هذه الأخطاء ، والمؤاخذ في أكثر ذلك من نوه المؤلف في ص ٣٧٨ و٣٧٩ بقيامهم على هذه الأمور وبعد فان جمهور الشباب المثقف كان في حاجة الى مثل هذا الكتاب في تاريخ الخليفة الأول من الخلفاء الراشدين ، وسيجد فيه ان شاء الله فائدة وممتعة وخيراً كثيراً



سهاد

مسرحية بالعربية الفصحى — لمحمود تيمور — في ١١٦ صفحة من القطع الصغير —  
مطبعة عيسى البابي الحلبي

ان مسرحيات تيمور — مثل شخصيته — لا تجد فيها تعقيداً في الأشخاص ، ولا غموضاً في الأفكار ، ولا اشتباكاً في سرد الحوادث ، كما هو الشأن عند بعض القصص . ولكنها بسيطة الى أقصى حدود البساطة . وكثيراً ما تذكرني — وأنا أقرأها — بمحمود تيمور نفسه محدثاً حلو الحديث شائق العرض هادئ الطبع في سماحة ورجاحة واعتدال ، فلا ترى منه نبوة عصبية ولا جفوة حسية ، ولا اضطراباً في الحديث ، ولا تذبذباً في النغم . ولكنه دائماً هادئ لا يعنف ، لين لا يقسو ، نفاذ البصيرة من غير ادعاء . الاشارة الصغيرة من يديه ، أو المحة الصغيرة من عينيه ، أو البسمة الرقيقة من شففيه فيها أبلغ العبارات . . وكذلك شأنه في قصصه ومسرحياته

بطلة المسرحية اسمها سهاد ، وهي أميرة عربية نكبت في زوجها وهي صغيرة . فبرمت بالعالم واستوحشت بالدنيا ، وأنست بالصحراء المترامية ، والليل الساجي ، والبلبل المغرد ومجاهد — بطل القصة الثاني — أمير عربي ، قفز من النصع ملك والفقر الى البطولة والامارة ، وكان في أيام فقره يهيم على وجهه في الأرض يضرب على « نايه » . فأحبته سهاد وهو لا يدري بحبها له . وودت لو تنزل عن غناها ومجدها في سبيل فيه وهووا . ولكنه باع روحه الشعرية الفنية الى ساحر من سحرة الهند ليمتدح الى سهاد . وما سحره في الحق إلا المدنية وحب المجد الزائف والعرض الزائل

ان مجاهد باع سموه الروحي . وباع نفسه التي أولعت بالعزف على الناي . وعاد الى سهاد قائداً مظفراً . ظاناً أنه لا شك كاسب قلبها ورايح ودها . ولكنها مع الأسف والخيبة أنكرت عليه أنه غير نفسه الأصلية الفطرية الشاعرة الى نفس متغيرة متلونة طعمت في الحياة والنازل والأقدار . . . ولكن هنا حيرة في الموقف ، فان مجاهد لم يبع نفسه إلا في سبيل سهاد ومن أجلها . فكيف تضع عليه الصفقة أو تفسد عليه السلعة ؟؟ وهنا تتكفل سهاد بالجواب عن هذه الحيرة المثارة في نفس القارئ حيث تقول ص ١٠٦ ( طال بحثي عن الفنان الفقير فيك ، فلم أعر له على أثر . . . كنت أتمثل على نحو آخر ، طيفاً ساوياً من عالم الأحلام ، نعمة عذبة يتوضح فيها الفن والجمال . . . ) . ومن هنا تدخل في المسرحية شخصية الأمير سيف الدين وهي شخصية ثانوية قصد بها المؤلف أن يوازن بين رجل ورجل في نظر شابة شاعرة بعيدة مطارح الخيال كسهاد



ومسرحية سهاد من النوع العاطفي الذي يسمو بالإنسان الى عالم الخيال والكمال، ولعل محمود تيمور قصد منها أن تكون درساً لمن ألهام التشاؤم، وأحبوا المال حباً جماً، وفتنتهم زخارف الحضارة وطلاؤها الخادع

فالليل — في نظر سهاد — له روعة لا تعدلها روعة ص ٨٦، وفي الظلام كثير من المقاتن لا تستطيع أن تراها كل العيون ص ٨٦، وعازف الناي عندها صاحب فن رفيع ص ٩١، والشعراء عندها لا يقلبون حقائق الحياة، وإنما يسمغون عليها من خيالهم الفياض جمالاً وفتنة أو ينفخون فيها من روحهم الصافية، ويلونونها بالألوان الزاهية الجذابة ويكشفون عن أسرارها اللطاف ص ٨٦. وفي المسرحية روح فكهة هي روح تيمور حين يقصد الفكاهة في حديثه، وقد قصد تيمور أن يكون القزمان أقيش وقرطيش موضوع الفكاهة في المسرحية، فكل حركة منهما تثير الضحك. وكل لفظة منهما تبعث على الأغراق في السخرية، حتى أن اسميهما لم يجريا على المؤلف من أسماء الخدم ولهذا شاع الهزؤ بهما بين الصغير والكبير، ألم تجد العجوز « أميمة » منهما مجالاً للوعيد المضحك حينما قالت لهما: أن لم تجد الرقص فسيكون لهما من نصيبي؟ ص ٧٤. أما الحوار بين أميمة وبينهما بشأن الفكاهة التي أعدت للضيفان فهو ممتع ومضحك وكأن ذلك الأمتاع والأضحاك يعدان القارئ للحزن — في آخر الرواية — على خاتمة الأمير مجاهد وعودته يجر اذبال الحسرة والحрман

\*\*\*

والحق ان الخاتمة مؤلمة حزينة فقد تركنا محمود تيمور نبكي مع الأمير مجاهد على حبه الضائع، وأن كان البكاء ليس من شيم الأبطال. كما تركنا محمود تيمور مع الأميرة الخاتمة الرجاء سهاد ترقب خطي الأمير مجاهد في احتياج وهو يرحل من عندها بعد ان خسر الفنان روحه وباعها برخيص الجاه ليشتري به حب سهاد التي ظلت على حبها لفنها فقط وبقيت على اخلاصها لفطرتها السليمة الحلوة

أما أسلوب تيمور فهو عربي مشرق السمات، لا تجد فيه أثراً لهجته، ولا لونه من عجمة، ولعله بذلك يردأ بلغ رد على من يتهمونه باستعمال العامية في بعض مسرحياته. فلم تكن كتابته بالعامية لأن أداة النصيحى لم تطاوعه ولكنها كانت عن رأي ارتاه وهذه العناية بالأسلوب واختيار اللفظ وانتقاء الجيد من العبارات، مع ما رزقه المؤلف من براعة السرد، ولطف القصص، وجسن العرض، وبراعة الحوار كفيلة ان تجعل من محمود تيمور قاصاً من طراز رفيع، يُقرأ للفائدة واللذة الفنية والعبرة لا للتسلية العابرة والمتعة الخاطفة

محمد عبد الغني حسن



## الشخصية الناجعة

للاستاذ سلامة موسى — مطبعة الحلة الجديدة — صفحاته ١٤٨

يمتاز رجال المعرفة الاجتماعية، وفي طليعتهم علماء النفس والاجتماع، بسعيهم الى تطبيق الطريقة العلمية في بحثهم وهذه الطريقة تقوم غالباً على الملاحظة والتجربة والتحقيق — وهي نفس الطريقة التي تعتمد عليها العلوم الموضوعية — والمعرفة الاجتماعية هي المدى العلمي الذي يتناول كافة الظواهر التي تتعلق بالانسان وصلته بالمجتمع الذي يعيش فيه . ولتعدد هذه الظواهر ينبغي على الباحث أن يلم بالعلوم الاقتصادية والمذاهب النفسية ودراسة خصائص الانسان « الانتروبولوجيا » والاخلاق والتربية . والاستاذ « سلامة موسى » رجل واسع الثقافة وهو أحد رجال المعرفة الاجتماعية ويعد في الطليعة من رواد الفكر الحديث عندنا . فهو أديب دائب الدرس والتفكير يكتب في الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية بأسلوب العالم المفكر أي بالأسلوب الواضح السهل وبهذا الأسلوب العلمي يكتب كثيراً من أدق المباحث السيكولوجية . فتخرج سائعة مفهومة لا تريب القارئ لأنها بعيدة عن الغموض المعنوي أو التقعر اللفظي . فقد كان الأستاذ يكتب عن ماركس وفرويد والبيوت سمث وفاندي والبشرية ومصر أصل حضارة العالم وغيرها من الموضوعات التي ترفع من شأن أدبنا الحديث وتجعله قادراً على تمثيل المعارف الحديثة بل تجعله يساهم في تجديد الحياة وتطورها ولا يقف موقف الجمود والركود . وهو اليوم مشغوف بالبحوث السيكولوجية والأخذ في تطبيق المذاهب النفسية بوجه عام على مجتمعنا المصري بل على حياتنا الفكرية . وأحدث مؤلفاته ذلك الكتاب الذي أخرجه للشباب عن « الشخصية الناجعة » . والشخصية موضوع حديث من الموضوعات الهامة التي يتناولها بالبحث والتحليل الكتاب السيكولوجيون . فلقد كتب عنها « مكيدوجل » آخر فصل في كتابه *Energies of Men* وكتب عنها روبرت وودورث في كتابه « السيكولوجية » *Psychology* وكتب عنها « الدوس هكسلي » فصلاً ممتعاً في كتابه « دراسات جديدة » *Proper Studies* . على ان هذه الدراسات عامة ليس فيها تخصيص أو تحديد والأمثلة فيها قليلة . أما كتاب « الشخصية الناجعة » فهو لون جديد من التأليف عندنا، والأمثلة فيه غزيرة واقعية . والشخصية كما يقول المؤلف هي « ثمرة الوسط والمجتمع » والذي يقصد من معنى الشخصية أنها مجموع الصفات التي يمتاز بها شخص ما في معاملته الناس بحيث يؤثر فيهم تأثيراً يؤدي الى نجاحه سواء في صناعته أو في حرفته أو في علاقاته مع الأفراد . والشخصية تتكون بالاجتماع والانسان تنمو شخصيته وتقوى بمقدار اختلاطه بأوساط



مختلفة لأنه يتعلم طرقاً وأساليب في تناول الأشياء ومعالجتها تجعله يختار أهداها الى النجاح والتأثير في الغير . فكان الشخصية تتكون من عادات اجتماعية خاصة وتنعدم بالعدم الاجتماع . ونعني هنا الاجتماع الذي يحملنا المسؤوليات ويهذبنا جسداً وروحاً ويهيئنا للادراك والتقدير اللذين يعتمدان على عقل مثقف يدفع بالنفس الى تعيين السلوك الواجب اتباعه في مختلف المواقف .

ولقد تحدث المؤلف في الفصل الاول عن ماهية الشخصية وفي الفصل الثاني عن عوائق النمو للشخصية وفي الفصل الثالث عن درجات الشخصية ووصف في الفصل الرابع التمرينات الالامعة لتنمية الشخصية وفي الفصل الخامس عن الشخصية والنجاح وفي الفصل السادس عن تغير الشخصية . ثم الخاتمة وقد تحدث فيها عن الشخصية الجديدة الملائمة للقرن العشرين ويجدر بي ان اشير هنا الى ان الواجب ان يقرأ هذا الكتاب من الفه الى يائه فهو جدير باهتمام القارئ وهو موضوع لتوجيه الشباب الوجهة الصالحة ولكن على القارئ الحصيف ان يقف عند الفصلين الرابع والخامس فيطيل الوقوف . ففي الفصل الرابع وصف تمرينات لتنمية الشخصية فتحدث فيه المؤلف عن الاجتماع المختلط والمناقشة واللقاء واللغة والثقافة واللغة والرقص والتمثيل واعتياد عادات جديدة والهواية والدفاع عن قضية عادلة وهذه كلها ترمي الى جعل الشاب اجتماعياً على شيء من المهارة في اللغة والايماة والحديث مع الرشاقة والبشاشة . وان العمود الفقري للشخصية هو المسؤولية والمرانة

اما الفصل الخامس فقد شرح فيه المؤلف الشخصية الانسانية والشخصية الناجحة والعادات وصلتها بالشخصية الناجحة ورسم خارطة الحياة واختيار الصناعة وفصل حياة العالم الاحيائي والشاعر الكبير « جيته » من حيث هو شخصية كاملة ، أو من حيث هو « شخصية » مثالية للتفكير والتوجيه . ومن رائع ما كتب عن الشخصية الجديدة للقرن العشرين انها الشخصية الايجابية التي تجيب على اسئلة الحياة ومشكلاتها بنعم وليس بلا . اي انها تعمل وتبني ولكنها مع ذلك قادرة على ان تنقض وتهدم . فيجب ان نبني الصحة والمعرفة والفن والرخاء »

وان وزارة المعارف لتحسن كثيراً لو قررت قراءة هذا الكتاب في مدارسها الثانوية بل في الجامعتين المصريتين . فالكتب العربية الخاصة بالانفسيات قليلة جداً وليست كلها جديرة بالدرس والبقاء . واما هذا الكتاب يعد بحق من كتب الجيل الناهض



## حياة قلب

لاحمد الصاوي محمد — ١٤٤ صفحة من القطع الوسط — طبع شركة فن الطباعة  
نشرته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

منذ ثمانية أعوام قلتُ في مستهل كلمة لي عن كتاب للاستاذ أحمد الصاوي محمد ، « ان الصاوي شاعر انفرط عقد لآله ، وهو في طريقه الى ربة الشعر » . واليوم أرى ان أصدق دليل على قولي كتابه « حياة قلب » ، فهنا شاعر له جميع مزايا الشعر ، ولكن القافية والوزن ليسا من وسائل أدائه ، وإنما وسائله ، في العاطفة المشبوبة ، والتعبير الشعري الحي ، والرنين المنبعث من قلب لمست يد الحب فخلته نغماً متصاعداً . وطالبه الفن بالاخلاص فصدق الرواية وكشف الستار عن حقيقة روحه وقلبه

فبينما كان الصاوي يعمل ، خلال الشهور السود من هذه الحرب الطاحنة ، في الترفيه عن قرائه بنقل ما سطره الكتاب عن حوادث هذه الحرب وفظائنها وأهوالها وأسرارها ، وفي أثناء اهتمامه باخراج كتبه : « مأساة فرنسا » و « اسرار انهيار أوروبا » و « الرقص على البارود » و « الوحش الأصفر » ، التفت ناحية الروح والقلب ، فأخرج أربعة كتب أخرى هي : « المرأة لعبتها الرجل » و « الموجة العذراء » و « حياة قلب » ثم « غانيات » والصاوي حين يكتب للروح والقلب ، يخفق على القرباس ولهذا تحسُّ فيما يكتب خفق القلوب ولهفة النفوس . ومن قرأ قصة « عائدة » التي نشرها منذ أربعة عشر عاماً شعر بهذا الاحساس ، ومن حسن حظ قراء كتاب « حياة قلب » أن هذه القصة هي احدى فصول هذا الكتاب

\*\*\*

واني أترك للاستاذ الصاوي الحديث عن كتابه هذا فيقول :  
« هذا الكتاب هو حلقة من عمره ، بلا زيادة ولا نقصان . . . ليس فيها أثر للادعاء أو الخيال . . . صور فيها ذلك الدور العنيف من شبابه المقيد في الشرق بقيود الحرمان ، ينطلق في الغرب بغير حساب ، ويسعى الى الهيجا بغير سلاح .. انمحت من حياته الآن تلك النارية ، فهو لا يحاول في هذه الصفحات زهواً أو مباهاة ، أو دعاية وغواية أو تبريراً يوفق به في نفسه بين الانسانية والحيوانية . . . انما قد أراد هنا ان يردَّ الى الشباب بعض وديعته كما هي : حياة قلب غرض ، بكل ما في هذه الحياة من محاسن ومساوىء . . . ربما كان في ذلك الاعتراف بعض عزائه عندما يشيب شعره ويشيخ قلبه . . . ولعل فيه بعض الندامة ، فبغفر



له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر... فيقول وهو يتصفح حياة قلبه ، مع الشاعر فرجيل :  
 هذه الذكريات ، ستكون يوماً ما هنائي »  
 فهنيئاً للاستاذ الصاوي بهذه الذكريات العذبة التي أسبغت على الأدب الحديث لونا من  
 الفن القصصي جديداً  
 الصيرفي

### ديوان « إشراقة »

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

ان أعظم قصيدة للشاعر عندي ... حياته . وقد ختمت قصيدة التيجاني الكبرى بأروع  
 مقطع . اذ اخترمه الموت مبكراً في سن الخامسة والعشرين وفيه أحفل ما يكون بالأغاريذ  
 وخياله أخصب ما يكون بالمعاني

وقد هزّت الأريحية النائب الفاضل الأستاذ محمد محمود جلال والوجيه الكريم الأستاذ  
 علي البرير فقاما بطبع ديوان الشاعر فأسديا للأدب يداً لا تنسى استحقاقاً عليها أجزل الشكران .  
 وها هو ذا بين أيدينا ديوان « إشراقة » حيث الحرية والتسامي والانطلاق من قيد الرغيف والدرهم  
 الى عرش السيطرة على النفوس وأي شيء أسمى في الانسان من نفسه وأي ملك يداني ملك  
 من سيطر على أسمى ما في الانسان ؟ ... ليزار أنصار البحري وأبي تمام والفرزدق  
 وأمثالهم ما شاءوا فقد انقضى العصر الذي كان فيه الشاعر بوقاً لكل نافخ وها هم أولاء شعراء  
 الجيل يؤثنون للشاعر مكانه الجدير به بين القادة . ولينفض النحات خلائف سيبيويه وابن  
 الاعرابي والأصمعي أيديهم من الشعر الحديث يلتمسوا فيه الغريب والدارس والآبد من  
 الالتفاظ فما لهم عليه من سلطان طالما القواعد مرعية والاصول متبعة واللغة سليمة، ولكن  
 ليقبل كل ظالم الروح متوقد الحس مرهف الشعور فهو واجد ما يشتهي هنا في ابيات  
 التيجاني من قصيدته ( جمال وقلوب )

وعبدناك يا جمال وصغنا	لك أنفاسنا هيأماً وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر	نا ينابيعها لعينيك قربى
وحبوناك ما يزيدك يا لفة	ر وضوحاً وأنت تفتأ صعباً
من ترى وزع المغاتن يا حسد	ن ومن ذا أوحى لنا أن نجبا

وفي قصيدة « قلب الفيلسوف » حشد من المعاني السامية النبيلة والإشراقات التي لا تهياً  
 إلا للملمين وقد سحرتني هذه القصيدة حين قرأتها . أولاً في مجلة « المقتطف » وهي  
 من مفاخر الشعر الحديث



معداك في حجر الآباد مغداه  
ودون مغناك من انباء شاحنة  
أطل من جبل الاحقاب محتملا  
منبأ من سماء الفكر ممسكة

وفوق دنياك في الايام دنياه  
كوخ النبي وفي علواء مغناه  
سفر الحياة على مكدود سياه  
على الرسالة يمتاه ويسراه

وقصيدة «في محراب النيل» لا تقرأها إلا وتشعر بالرهبة والجلال والروعة كأنك داخل  
أحد الهياكل المقدسة وفيها يخاطب النيل :

حضنتك الاملاك في جنة الخ  
وأمدت عليك أجنحة خض  
فتحدثت في الزمان وأفرغ  
مخزتك القرون تشمر عن سا

لدي ورفعت على وضيء عبا بك  
رأ وأضفت ثيابها في رحابك  
ت على الشرق جنة من عبا بك  
ق بعيد الخطي قوي السنا بك !

وان مقومات الشعر: الخيال (الفكرة) والعاطفة والتعبير لتبدو في شعر التيجاني منسجمة  
أبداع انسجام. نعم ان عاطفته لا تتخلى عن فكره وخياله لأنه لا يطرق إلا الموضوع الذي  
تشبعت به نفسه وفاض عليه احساسه. اما التعبير فمقامه بقدره تأديته المعنى مع أننا نلهم  
في تعابيره الماماً واسعاً باللغة واطلاعاً دقيقاً وقدرة فائقة على التصرف في الالفاظ لا تقل عن  
قدرته على ابداع المعاني. ولكن اللغة والالفاظ تستقر في وضعها الطبيعي أي انها وسيلة لا غاية  
والتيجاني في ديوانه يعاني صراعاً نفسانياً عنيفاً هو صراع بين روح صوفية سامية  
زاهدة ونفس ظامئة نهمة تهيم بالجمال والحسن فيبينما ترى له قصائد «الصوفي المعذب» و«الله»  
و«الزاهد» و«قلب الفيلسوف» ترى له قصائد «جمال وقلوب» و«من هنا وهناك»  
و«رب ما أعظم الجمال وأجد» فهو القائل :

أحبك حتى تنبذ السماء ويتلغ النيرات الابد

ثم يعبر عن خوالج نفسه وقد فتنها الحسن :

رقصت في الفضاء نفسي حتى اوشكت من يدي ان تنبذ !

أما قصيدته «توتي في الصباح» وقد نشرت في «المقتطف» ايضاً فإنها من عيون القصائد  
الوصفية بل أنه فيها نفحة من شعراء البحيرات الانكليز على حد تعبير الصديق رئيس تحرير  
المقتطف

وهذه المعجالة لا تكفي لتناول نواحي هذا الشاعر بالافاضة ولكننا سنوفيه حقه حين  
نستكمل نبئنا عن الشعراء المحدثين. وختاماً ان ظفر الشعر الحديث بمثل هذا الشاعر لما يبهج  
النفس ولكن اللوعة لفقدته لاحد مداهما وفي هذين الشعورين حياة له أبداً تتجدد

محمد فهمي



# فهرس الجزء الاول

من المجلد الثاني بعد المائة

- ١ البصر الثاني : بين الحرب الجوية وإظلام المدن
- ٨ مجد الاسكندرية — جامعة فاروق الاول
- ١٤ كيف ينبغي ان تكون العلاقات الاقتصادية لتحقيق تعاون عالمي : لصاحب الدولة اسماعيل صديقي باشا
- ٢١ الحياة العلمية في مصر بعد ربع قرن : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
- ٢٨ الشجرة : ناسكة الصحراء ( قصيدة ) : لمحمود محمد شاكر
- ٣٠ مغزى الصراع : كسب الحرب وتجديد النفوس وتهيتها للعصر المقبل
- ٣٣ ضباب ورماد ( قصة رمزية ) : بقلم عادل كامل الحامي
- ٤٧ نيوتن امير العلم : لتقديري حافظ طوقان
- ٥١ من ازهار الشر لبودلير : الساعة : ( قصيدة ) نقلها عثمان علي غسل
- ٥٢ غرائب العشر . نبات تستخرج منه عجائب صناعية : لعوض جندي
- ٥٧ المرأة والدولة في فجر الاسلام : للسيدة نادية أبوت : ترجمها محمد عبد الغني حسن
- ٦٤ مؤتمر الآلهة الثلاثة : لنقولا الحداد
- ٧٠ تأثير التحليق في أجسام الطيارين
- ٧٣ المدخل الى علم الحيوان : للاب أنستاس ماري الكرملي
- ٧٩ فضائل الصلاة الصحية : للدكتور شوكت موفق الشطي
- ٨٣ وحدة الكون ( قصيدة ) : للشاعر السكنديناوي بوزن
- ٨٤ اصطلاحات علم النبات ومدلولاتها : لمحمود مصطفى الدمياطي
- ٨٧ حديقة المقتطف \* ييجاليون في الادب العربي : لحسن كامل الصيرفي
- ٩٣ باب الاخبار العلمية \* الحرب وتقدم العلم . المخترع نقولا تسلا . علاج مرض منيير بافيتامين . الحمض النيكوتينيك والنياسين . مصدر جديد لفيتامين A . اشعاع غريب ينبعث من النبات . فضيلة عقاقير السلفايناميد والسل . الكابوك ومزاياه النباتية والصناعية
- ١٠١ مكتبة المقتطف \* الصديق ابوبكر : لمح الدين الخطيب . سهاد : لمحمد عبد الغني حسن . الشخصية الناجمة : حلمي ميري . حياة قلب : للصيرفي . ديوان « اشراق » : لمحمد فهمي